مقرر توحيد ٤

كلية دعوة

[الإيمان بالملائكة والكتب والرسل- مسائل الولاية والكرامة]

جمع شتاتها وأعاد طباعتها مجموعة من طلاب كلية الدعوة

تحت إشراف ومراجعة أستاذ المقرر:

د. سعود بن مصلح الصاعدي

العام الجامعي: ١٤٤٤

نسخة ٣

فهرس الموضوعات

أولاً: الإيمان بالملائكة ٥
معنى كلمة (الملائكة) ٥
معنى الإيمان بالملائكة: ٥
منزلة الملائكة في الدين: ٦
خلق الملائكة: ٧
حكم الإيمان بالملائكة، وحكم إنكارهم: ٨
صفة الإيمان الواجب على العبد بالملائكة: ٩
مسائل رؤية الملائكة: ٢٦
مسائل التفاضل المتعلقة بالملائكة: ٣١
هل إبليس من الملائكة؟ ٣٢
عقيدة المشركين في الملائكة ٣٢
ثمرات الإيمان بالملائكة، وأثرها في عقيدة العبد وسلوكه: ٣٣
ثانياً: الإيمان بوجود الجن ٣٦
تعريف الجن: ٣٦
حقيقة وجود الجن والحكمة من خلقهم: ٣٦
الأدلة على وجودهم، وبعض الأحكام المتعلقة بهم: ٣٦
أصناف الجن: ٣٧
الفروق بين الجن والشياطين: ٣٧
صفات الجن: ٣٨
أماكن وجودهم: ٤٠
جوانب الضعف عند الجن: ٤٠
طرق الاحتراز من شرّ الجن والشياطين: ٤١
حكم الإيمان بوجود الجن، والأدلة على ذلك: ٤٣

أقوال أهل العلم في وجود الجن: ٤٣
المنكرون لوجود الجن والرد عليهم: ٤٤
تلبس الجن بالإنس: ٤٤
الاستعانة بالجن: صورها وأحكامها: ٤٥
ثالثاً: الإيمان بالكتب ٤٧
المراد بالكتب: ٤٧
مفهوم الإيمان بالكتب: ٤٧
حكم الإيمان بالكتب، وأدلة ذلك: ٤٨
الحكمة من إنزال الكتب: ٤٩
الكتب السابقة، حالها، والموقف منها إجمالاً: ٤٩
ثمرات الإيمان بالكتب: ٥٣
تفصيل القول في كتب الله المعلومة أسماؤها: ٥٣
أدلة تحريف التوراة والإنجيل: ٥٥
الواجب على المسلم في الإيمان بالتوراة والإنجيل. ٥٨
طرق العلم بما في كتب أهل الكتاب، وأحكامها: ٥٩
منزلة القرآن من الكتب المتقدمة: ٦٠
خصائص القرآن الكريم: ٦١
مسائل في الاستدلال بالقرآن الكريم. ٦٢
أدلة صدق القرآن الكريم ٦٤
معنى الوحي وأنواعه: ٧٠
رابعاً: الإيمان بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ٧٢
تعريف النبوة والرسالة: ٧٢
الفرق بين النبي والرسول: ٧٣
الحكمة من إرسال الرسل: ٧٤
معتقد أهل السنة والجماعة في النبوة: ٧٥

وظائف الرسل ٧٧
كيفية الإيمان بالرسل: ٧٨
منزلة الرسل وأنهم أفضل الخلق: ٨٠
من خصائص الرسل: ٨١
التفاضل بين الأنبياء والرسل: ٨٢
أولو العزم ٨٢
عصمة الأنبياء والرسل: ٨٣
أدلة صدق الرسل، ويطلق عليها دلائل النبوة: ٨٥
دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحد: ٨٧
من ثمرات الإيمان بالرسل: ٩٠
معنى شهادة أن محمدا رسول الله: ٩٠
خصائص رسالة نبينا محمد ﷺ ٩١
حقوق النبي ﷺ على أمته: ٩٣
دلائل نبوة النبي ﷺ كثيرة، وهي ترجع إلى أنواع: ٩٥
الإسراء والمعراج: تعريفهما والأدلة عليهما، ودلالتهما. ٩٦
ختم النبوة: ١٠٤
ثمرات عقيدة ختم النبوة ١٠٩
مذاهب المخالفين في ختم النبوة والرد عليهم: ١١٠
خامسا: المسائل العقدية المتعلقة بالولاية وكرامات الأولياء ١١٣
أولا: المراد بالولاية وشروطها ومراتبها وثمراتها: ١١٣
ثانيا: كرامات الأولياء: معناها وضوابطها وأحكامها والأدلة على إثباتها: ١١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الإيمان بالملائكة

معنى كلمة (الملائكة)

معنى (الملائكة) لغة: الملائكة جمع، مفرده مَلَك، ولأهل العلم في اشتقاقه قولان:

١-من "أَلَك" أصله من "الألوكة"، وهو الرسالة، وهو قول جمهور أهل العلم.

فمعنى لفظ الملائكة على هذا الاشتقاق: الرسل، وسميت الملائكة بهذا الاسم للرسالة، لأن الملائكة رسل الله بينه وبين أنبيائه، ورسله لتنفيذ أوامره في تدبير الكون.

والله سماهم في كتابه رسلا، يقول تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فاطر:١].

ويقول سبحانه: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحج:٧٥].

٢-من "مَلَك" غير مهموز الأصل، والهمزة فيه زائدة، فيكون "ملائكة" على وزن "فعائلة"، وعلى ذلك فلفظ الملائكة أصله من: "الملك" وهو الأخذ بالقوة.

وكلا الاشتقاقين يصدقان على الملائكة الكرام، فهم مرسلون، وأولو قوة.

المراد بالملائكة اصطلاحا: (عباد مكرمون، خُلقوا من نورٍ، لا يعلم عددهم إلا الله، قائمون على عبادة الله، وتدبير شئون الكون بأمره سبحانه).

معنى الإيمان بالملائكة:

معناه تصديق القلب واللسان والجوارح بهم.

ويكون تصديق القلب باعتقاده وجودهم، وبالإيقان بما ورد من أخبارهم في الكتاب والسنة.

ويكون تصديق اللسان بإقراره بوجودهم نطقا، والتحدث بذلك، وتعليمه، وتعلمه.

وتصديق الجوارح يكون بالعمل بمقتضى ما وقر في القلب وجرى على اللسان.

ومن صور إيمان الجوارح بالملائكة: الاقتداء بهم في أعمال الإيمان مما شرع لنا الاقتداء بهم فيه.

وله أمثلة:

١-**عدم التقدم بين يدي الله ورسوله**. قال تعالى في وصف تنفيذ الملائكة لأوامر الله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٧]. وهذا وصف به الملائكة، وقد أمر الله به المؤمنين فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحجرات:١].

٢-**الصلاة على النبي ﷺ**. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٦]. فقد أمر الله المؤمنين في هذه الآية الكريمة بالاقتداء بالملائكة في الصلاة على النبي ﷺ.

٣-**إقامة صفوف الصلاة**. روى مسلم عن جابر بن سمرة ﷺ قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: "ألا تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكة عند رَبِّهَا؟" فقلنا: يا رسول الله، وكيف تَصُفُّ الملائكة عند ربها؟ قال: "يتمون الصفوف الأُوَل ويتراصون في الصف".

٤-**الاحتراز عما فيه إيذاء لهم**. روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من أكل الثوم، والبصل، والكراث، فلا يقربنَّ مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم".

ومن أذيتهم البصاق عن اليمين في الصلاة؛ فقد نهى الرسول ﷺ عن البصاق عن اليمين في أثناء الصلاة؛ لأن المصلي إذا قام يصلي يقف عن يمينه ملَك، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة، فلا يبصق أمامه، فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه؛ فإن عن يمينه ملَكاً، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه فيدفنها".

منزلة الملائكة في الدين:

للملائكة منزلة عظيمة عند الله تعالى، ومن الوجوه التي يتبين بها عظيم مكانتهم:

١-**أن الله وصفهم بأنهم المقربون**، فقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة النساء:١٧٢]

٢-**ووصفهم بأنهم كرام**، فقال ﷻ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٦]، وقال تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [سورة الانفطار:١١].

٣-**ووصفهم بالبر وأنهم بررة،** كما في قوله تعالى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [سورة عبس:١٦]

٤-**ووصفهم بأنهم الملأ الأعلى،** كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ [سورة الصافات:٨].

٥-**القَسَم بهم.** كما في قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [سورة الصافات:١].

٦-**قَرَن ذكرهم بذكره** في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران:١٨].

٧-**أضافهم إليه إضافةَ تشريف،** كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [سورة الأحزاب:٥٦].

٨-**شرع الله التأدب معهم** في عدم قربان المساجد برائحة كريهة، وعدم البصق عن اليمين في الصلاة، وفي استحباب الصلاة عليهم إذا ذكروا.

وقد نقل النووي الإجماع عليه إذ قال: (أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ، وكذلك أجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا).

خلق الملائكة:

أصل خلقهم: والمادة التي خلق الله منها الملائكة هي "النور". فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم".

وهذا النور الذي خُلقت منه الملائكة لا نخوض فيه من أي نور هو؟ ويكفي أن نقول: إنها خلقت من نورٍ، كما ورد في الحديث، وأن هذا النور مخلوق.

زمن خلقهم: لم يرد تحديد زمن خلقهم في النصوص، لكن دلت النصوص على أنهم خُلقوا قبل البشر وقبل خلق الجنة والنار.

أما كونهم خُلقوا قبل البشر فلقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة:٣٠]. والمراد بالخليفة في الآية آدم عليه السلام، فهذا يدل على أن الملائكة كانت مخلوقة قبل خلق آدم عليه السلام.

وأما كونهم خلقوا قبل خلق الجنة والنار فيدل عليه ما يلي:

عن رسول الله ﷺ قال: "لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل عليه السلام إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فنظر إليها فرجع، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها. فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: اذهب إليها فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فنظر إليها، فإذا هي قد حفت بالمكاره، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ. قال: اذهب فانظر إلى النار وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحدٌ. فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع فانظر إليها، فنظر إليها فإذا هي قد حفت بالشهوات، فرجع وقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحدٌ إلا دخلها" أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني رحمه الله.

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ لجبريل ـ عليه السلام ـ: "ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟، قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار".

حكم الإيمان بالملائكة، وحكم إنكارهم:

الإيمان بالملائكة واجب، وهو ركن من أركان الإيمان في الدين لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد نص الله على ذلك في كتابه، وأخبر عنه النبي ﷺ في سنته.

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥].

كما أخبر الله ﷻ في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله؛ فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء:١٣٦]. وقد دلت السنة كذلك على هذا. وهو ما جاء موضحا في حديث جبريل المشهور حينما سأله عن الإيمان: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١).

والمُنْكِرُ لوجود الملائكة كافر بالإجماع، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء:١٣٦].

---

(١) صحيح مسلم رقم٨.

ومن الأدلة على وجوب الإيمان بالملائكة:

١- أن الله جعل الإيمان بهم من البر، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [سورة البقرة:١٧٧].

٢- وجعله من صفات النبي والمؤمنين كما قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥].

٣- وجعل الكفر بالملائكة ضلالا بعيدا كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء:١٣٦].

٤- كما بين سبحانه أن انتقاص الملائكة من عمل الكافرين قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى﴾ [سورة النجم:٢٧]

٥- وأبان سبحانه أن من عادى الملائكة فهو عدو لله كافر: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٩٨].

وكل نص فيه ذكر للملائكة فهو دليل لوجوب الإيمان بهم؛ لأن ما ورد في شأنهم أخبار وواجبنا تجاه أخبار الله مقابلتها بالتصديق والإيمان.

صفة الإيمان الواجب على العبد بالملائكة:

أن تؤمن بما ورد في شأنهم في النصوص على الوجه الذي ورد به إجمالاً في الإجمال، وتفصيلاً في التفصيل.

ويمكن إجمال ما يتحقق به الإيمان بالملائكة في النقاط التالية:

١- الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

٢- الإيمان بأنهم خلق كثير جدا لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، كما سيأتي.

٣- الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنده كما تقدم في الحديث عن منزلتهم.

٤- موالاتهم والحذر من عداوتهم لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة:٧١]. فدخل الملائكة في هذه الآية لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم. وأخبر ﷻ عن موالاة الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ

وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [سورة التحريم:٤] وقد حذر الله تعالى من عداوة الملائكة فقال: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٩٨].

٥- الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. كما أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقهم وخالق الخلق أجمعين، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيل له في أسمائه وصفاته وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز من قائل: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾ [سورة الأنبياء:٢٦-٣٠]. فأخبر سبحانه أنه لم يأمر بعبادتهم وكيف يأمر بعبادتهم وهي كفر بالله العظيم ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنات الله ونزه نفسه عن ذلك، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بأمره مشفقون من خشيته، وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من ﷺ من أهل التوحيد. ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منهم وأن جزاءه جهنم، فظهر من ذلك أنهم عباد مربوبون لا حول لهم ولا قوة إلا بربهم وخالقهم، فيجب تنزيههم وتبرئتهم مما زعمه المشركون فيهم من أنهم إناث أو بنات الله، أو أنهم يشفعون عند الله بغير إذنه، أو يشفعون لأحد من المشركين به.

٦- الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنة كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ومالك، وهاروت وماروت، ومنكر ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم.

وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف، أو بذكر وظيفته أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة.

فيجب الإيمان بذلك إيمانا مفصلا على نحو ما جاء في النصوص من أسمائهم وصفاتهم، ووظائفهم، وأخبارهم، والتصديق بكل ذلك.

وعليه فما جاء في النصوص مما يخص الملائكة يرجع إلى أربعة أصول مهمة:

الأصل الأول: أسماؤهم. الأصل الثاني: أعدادهم.

الأصل الثالث: أوصافهم. الأصل الرابع: وظائفهم وأعمالهم.

وفيما يلي تفصيل الحديث عنها:

الأصل الأول: أسماء الملائكة:

جاءت على وجهين: أ- وجه الإجمال ب-وجه التفصيل.

أ- أسماء الملائكة إجمالا: هناك أسماء أطلقت على الملائكة، وهي أسماء عامة لهم، فمنها:

١- الملائكة. وقد تقدم الكلام عنه.

٢- الملَك. قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [سورة الحاقة:١٧]، والمراد بالملك هنا جنس الملائكة.

٣- الملأ الأعلى. قال تعالى: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ [سورة الصافات:٨]، والملأ في لغة العرب يطلق على الأشراف والرؤساء والمقدمين مشتق من الامتلاء، سموا بذلك لامتلائهم بالفضائل والشرف والكرامة.

والعلو المراد هنا: علو المكانة والمكان فهم من أشراف الخلق الذين سكناهم في السماوات العلى.

٤- جنود الرب. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المدثر:٣١].

والجيم والنون والدال أصل يدل على التجمع والنصرة، وإنما سموا بذلك لوجود معنى التجمع فيهم ولكثرتهم، ولأن الله تعالى جنّدهم في تدبير شئون الكون، وسخرهم لتنفيذ أوامره سبحانه.

٥-الأشهاد. قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [سورة هود:١٨].

قال مجاهد والسدي: الأشهاد الملائكة.

وهذه التسمية مأخوذة من الشهادة، وهي الإخبار بما وقع، أو من الشهود، وهو بمعنى الحضور؛ لأنهم يحضرون الموقف.

ب- أسماء الملائكة بالتفصيل:

أسماؤهم المفصلة الواردة في الكتاب والسنة على وجهين:

الوجه الأول: تسمية طوائف منهم. والوجه الثاني: تسمية أفرادهم.

الوجه الأول: أسماء بعض طوائف الملائكة: هناك أسماء أطلقت على بعض طوائف الملائكة، ومنها:

١- الزبانية: وهو اسم لخزنة النار وهي الجماعة من الملائكة التي تتولى خزانة جهنم، قال تعالى: **(سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ)**. وسموا بذلك لأنهم يزبنون أهل النار في النار زبنا، أي: يدفعوهم فيها دفعا شديدا.

٢- المعقبات قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد:١١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر.... " الحديث

وسموا بالمعقبات لوجهين:

أ- أنهم يتعاقبون على العبد من بين يديه ومن خلفه ب- أنهم يتعاقبون في الليل والنهار ويخلف بعضهم بعضا.

٣- الحفظة: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [سورة الأنعام:٦١]

الوجه الثاني: أسماء الأفراد منهم، فمنها:

١- جبريل وهو أمين الملائكة ومقدمهم ورئيسهم، وقد كثر ذكره في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وذلك لأنه هو الذي نزل بالقرآن على نبينا محمد ﷺ، وكان ملازما له، وكان ينزل عليه كثيرا.

وقد سماه الله ﷻ بأسماء أخرى في القرآن الكريم، فسماه بالروح قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [سورة المعارج:٤] وسمي بذلك لأنه جاء بما فيه روح، وهو الوحي قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [سورة الشورى:٥٢].

٢- ميكائيل وهو الملك الموكل بالقطر والنبات، وقد ورد ذكره في الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٩٨].

وجاء في حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض...".

والدليل على أن ميكائيل هو الموكل بالقطر والنبات حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ، عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ...فذكر الحديث وفيه: فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبكَ؟ قَالَ: " جِبْرِيلُ عليه السلام"، قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالحَرْبِ وَالقِتَالِ وَالعَذَابِ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلتَ: **مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالقَطْرِ**، لَكَانَ فَأَنْزَلَ الله ﷻ: ﴿قُل مَن كانَ عَدُوًّا لِجِبريلَ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةَ "(١).

٣- إسرافيل: وهو الملك الموكل بالنفخ في الصور، وجاء ذكره في الأحاديث النبوية ومنها حديث عائشة أم المؤمنين ﵂ المتقدم.

٤- مالك: وهو اسم خازن النار، وقد ورد ذكره في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [سورة الزخرف:٧٧].

وعن سمرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ: "رأيت الليلة رجلين أتياني...-وذكر الحديث إلى قوله: فقالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار... وأنا جبريل وهذا ميكائيل"(٢).

٥- هاروت وماروت: هما اسمان للملكين جعلهما الله فتنة للعباد في تعليم السحر كما في آية البقرة.

٦و٧- المنكر والنكير: عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قبر الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر، وللآخر: النكير...".

الأصل الثاني: أعداد الملائكة:

إن النصوص في أعداد الملائكة جاءت على وجهين: **أ- مجمل. ب- مفصل.**

أ- أما المجمل فقد دلت النصوص على أن عددهم كثير جدا، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى، ولم تدل النصوص على تحديد عدد مجموعهم، ومما يدل على كثرتهم:

١- قال تعالى في سياق ذكر الملائكة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورةالمدَّثِّر:٣١]

٢- قول النبي صلى لله عليه وسلم: "فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم" متفق عليه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٤٨٣)، وحسنه محققو المسند.

(٢) صحيح البخاري (٢/ ١٠٠) برقم ١٣٨٦.

فالبيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، وإذا دخل أحدهم ثم خرج لا يعود مرة أخرى، فكم دخله من الملائكة منذ خلقه الله إلى الآن؟، وكم سيدخله إلى يوم القيامة؟!

٣- وفي حديث آخر قال ﷺ: " أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء. قال: إني لأسمع أطيط السماء. وما تلام أن تئطّ، وما فيها موضع شِبْر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم").

ب- وأما المفصل فقد وردت النصوص بذكر أعداد معينة محصاة للملائكة الذي يقومون بأعمال خاصة، وفيما يلي ذكر ذلك:

١- عدد حملة العرش.

قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [سورةالحَاقَّةِ:١٧]

٢- عدد خزنة جهنم.

قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [سورةالمدَّثِّرِ:٣٠] يعني: على النار تسعة عشر ملَكاً.

وهذا العدد التسعة عشر ليسوا هم جميعَ خزنةِ جهنم، وإنما هم رؤساؤهم، ولهم أعوان كثيرون، منهم الذين يجرّون جهنم، ففي صحيح مسلم...قال رسول الله ﷺ: "يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها".

٣- عدد من يسأل الميت في قبره.

قال رسول الله ﷺ: "إذا قبر الميت - أو قال: أحدكم -أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما، المنكر، وللآخر: النكير....". [وقد تقدم].

الأصل الثالث: أوصاف الملائكة:

جاءت أوصاف الملائكة على وجهين: **أ- مجمل. ب- مفصل**

أ- صفاتهم إجمالاً.

١- **أنهم خلقوا من نور.** قال ﷺ: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار،وخلق آدم مما وصف لكم". [وقد تقدم].

٢- **أن لهم القدرة على التشكل في صورة البشر** بإذن الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [سورة مَرْيَمَ:١٦-١٧].

وورد في حديث جبريل المشهور أن جبريل جاء يعلم الصحابة دينهم وكان على هيئة رجل شديد بياض الثياب،شديد سواد الشعر [وقد تقدم].

بل ورد أن جبريل كان يأتي على صورة الصحابي دحية الكلبي ﷺ.

٣- **أن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر من ذلك**. قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فاطر:١].

قال ابن كثير رحمه الله: (أي منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر) (١).

وقال القرطبي رحمه الله: (أي اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة) (٢).

وقد رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح.

٤- **أنهم خلقهم عظيم**. قال ﷺ: " أذن لي أن أحدث عن ملَك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام"." رواه أبو داود وصححه الألباني.

٥- **أنهم لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة**. قال تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ [سورة الصَّافَّاتِ:١٤٩-١٥٠]. فنفى الله عنهم الأنوثة ولم يصفهم بالذكورة.

٦- **أنهم لا يأكلون ولا يشربون**. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠)﴾ [سورة هود: ٦٩، ٧٠].

٧- **أنهم يتكلمون**. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البَقَرَة:٣٠].

٨ - **أن لهم قلوبا، وأنهم يفهمون ويعقلون**، ويصيبهم الخوف من الله تعالى. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٣٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٣١٩).

٩- **أن لهم أيدي** قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [سورة الأَنعَام:٩٣].

١٠- **أنهم يسمعون**. لقول النبي ﷺ: "إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر".

١١- **تأذيهم مما يتأذى منه بنو آدم**. قال ﷺ: "من أكل من هذه البقلة الثوم-وقال مرة من أكل البصل والثوم والكراث - فلا يقربنّ مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم" رواه مسلم.

١٢- **أن لهم أعيناً**. جاء في وصف إسرافيل قول النبي ﷺ: "كأن عينيه كوكبان دريان".

ويدل عليه أيضاً خبر موسى عليه السلام لما ضرب الملَك ففقأ عينه.

١٣- **أن لهم آذاناً**. قال ﷺ: "أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام". [وقد تقدم].

١٤- **أنهم متصفون بالحياء**. قال ﷺ في شأن عثمان رضي الله عنه: "ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة؟".

١٥- **أنهم يحبون المستحق للمحبة ويبغضون المستحق للبغض والكراهية**. قال ﷺ: "إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً نادى جبريل إني أبغض فلانا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض".

١٦- **أنهم يتشكلون على صور جميلة**. والدليل قول الله تعالى في صفة جبريل عليه السلام: ﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة النَّجم:٦]، أي ذو حسن وكمال في الخلقة. ويدل لذلك أيضاً نزول جبريل في صورة دحية الكلبي، وكان أجمل العرب.

ب- صفاتهم تفصيلا: والحديث عنها من وجهين:

الوجه الأول: صفات طوائف منهم. الوجه الثاني: صفات أفرادهم.

الوجه الأول: صفات طوائف منهم:

١- صفات خزنة جهنم، وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالكٌ عليه السلام. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [سورة التَّحۡرِيمِ:٦].

وصفوا بأنهم (غلاظ) أي طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بأهل النار.وهذه صفة خُلُقية.

كما وصفوا بأنهم (شداد) فتركيبهم في غاية الشدة والمنظر المزعج. وهذه صفة خَلْقية.

وقد ورد عن عكرمة: أنهم سود الوجوه،كالحةٌ أنيابهم، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة.

٢- صفة الملكين الموكّلين بسؤال الميت في قبره:

قال ﷺ: " إذا قبر الميت- أو قال أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر، والآخر النكير". [وقد تقدم].

الوجه الثاني: صفات أفرادهم.

١- صفة جبريل: جبريل عليه السلام له صفات حميدة عظيمة منها:

أ. **(الكرم)** قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [سورة التَّكۡوِيرِ:١٩]، والكريم هو الفاضل المتصف بصفات الكمال كالشرف والمجد والرفعة.

ومن أعظم الكرم أنه لا يبخل ولا يكتم ما أمره الله تعالى بإيحائه إلى أنبيائه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ [سورة التَّكۡوِيرِ:٢٤]، والضن - بالضاد - هو الشح.

ب. **(القوة)**، ودليلها قول الله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ [سورة التَّكۡوِيرِ:٢٠]، وجبريل أعظم الملائكة وأشدهم قوة على الإطلاق.

قال محمد بن السائب: (من قوة جبريل أنه اقتلع مدائن قوم لوط من الماء الأسود فحملها على جناحه، حتى رفعها إلى السماء، حتى أسمع أهل السماء نُباح الكلاب وصِياح دِيَكَتهم، ثم قَلَبَها.(

ومما يدل على قوته أيضا: هبوطه من السماء على الأنبياء عليهم السلام، وصعوده إلى السماء مرة أخرى في أسرع من طرفة عين.

ج. (**القرب من الله** ﷻ)، ودليله قوله تعالى: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة التَّكْوِيرِ:٢٠].

د. (**المكانة الرفيعة عند الله**)، ودليلها قوله تعالى: ﴿مَكِينٍ﴾ [سورة التَّكْوِيرِ:٢٠]

هـ. (**الاحترام من الملائكة**)، ودليلها قوله تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ [سورة التَّكْوِيرِ:٢١] ثَمَّ: أي هناك في الملأ الأعلى، فهو أفضل الملائكة، والسفير بين الله تعالى ورسله جميعا.

و. (**الأمانة**)، ودليلها قوله تعالى: ﴿أَمِينٍ﴾ [سورة التَّكْوِيرِ:٢١]، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [سورة الشعراء:١٩٣].

وقد قرئ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [سورة التَّكْوِيرِ:٢٤]) بالظاء، والظنين هو المتهم. أي ليس جبريل متهماً على الغيب والوحي بل هو أمين غاية الأمانة(١).

ز. (**صفة الحسن**)، ودليلها قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [سورة النَّجْمِ:٦]، والمرة هي الحسن وكمال الخِلْقة، وقيل: كمال العقل والمنطق، فجمع الله له الحسن من جميع الوجوه.

وقد قال رسول الله ﷺ: "رأيت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى، وعليه ستمائة جناح، ينثر من ريشه تهاويل الدر والياقوت".

و(تهاويل الدر والياقوت) أي: الأشياء المختلفة الألوان، وأصلها مما يهول الإنسان ويحيره.

ح. (**الطهارة والقداسة**)، ودليلها قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [سورة النَّحْلِ:١٠٢]. والقدس – بضم الدال ويجوز تسكينها – هو المطهر من كل عيب.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (وقد بين الله تعالى لنا أوصاف جبريل الذي نزل بالقرآن من عنده، وتدل على عظم القرآن وعنايته تعالى؛ فإنه لا يرسل من كان عظيما إلا بالأمور العظيمة).

٢– صفة إسرافيل: قال ﷺ في صفته: "كأن عينيه كوكبان دريان". [وقد تقدم].

٣– صفة ملَك من حملة العرش: قال ﷺ: " أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقة مسيرة سبعمائة عام [وقد تقدم].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٤٢).

الأصل الرابع: وظائف الملائكة وأعمالهم:

جاءت وظائف الملائكة وأعمالهم على نوعين: **أ- مجمل. ب- مفصل.**

أ- أما المجمل فهي الوظائف التي يشتركون فيها جميعاً، وهي وظيفتان:

١- عبادة الله تعالى. ٢-القيام بتدبير شؤون الكون بأمر الله.

أولاً: عبادة الله.

جاء وصف عبادتهم لله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [سورة الأنبياء:١٩-٢٠] وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [سورة فُصِّلَتْ:٣٨].

فعبادة الله هي وظيفة الملائكة كلهم بلا استثناء.

وقد تضمنت الآيتان عدة أمور مهمة تتعلق بعبادة الملائكة، وهي:

١- أنهم لا يستكبرون؛ أي: أنهم يتذللون في عبادتهم لله ﷻ.

وأعظم العبادة غاية الذل مع غاية المحبة.

٢- أنهم لا يستحسرون؛ أي لا ينقطعون عن العبادة بحال.

٣- أنهم لا يفترون؛ أي: لا يقطعهم الفتور، وهو الوهْن والضعف الحسيّ.

٤- أنهم لا يسأمون؛ أي: لا يملون من العبادة، وهو الوهْن المعنوي.

أنواع عبادة الملائكة:

١-**الصلاة.** في حديث الإسراء المتفق عليه: "هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك..."[(١)].

٢- **الذكر.** قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الشُّورَىٰ:٥]» وقال تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [سورة الصَّافَّاتِ:٣].

٣- **الخوف والخشية.** قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨] وقال ﷺ: " مررت ليلة أسرى بي بالملأ الأعلى، وجبريل كالحِلْس البالي من خشية الله تعالى ". والحلس هو: ما يبسط ويجلس عليه من فرش ونحوه. والبالي: القديم المتهالك.

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٠٩) برقم ٣٢٠٧. وقد تقدم بمعناه.

٤- **الجهاد**. قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [سورة الأنفَالِ:٩].

ثانيا: القيام بتدبير شؤون الكون بأمر الله.

ما من حركة في الكون إلا وهي ناشئة عن الملائكة، فهم موكلون بالسماء وما فيها، وبالأرض والنبات، والريح والجبال وبني آدم وغير ذلك.

مسألة: الجمع بين إضافة التدبير إلى الله وإضافته إلى الملائكة:

إن الله سبحانه أضاف التدبير إلى نفسه فقال ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [سورة السَّجْدَةِ:٥].

وأضاف التدبير إلى الملائكة؛ فقال ﷻ: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [سورة النازعات:٥].

والجمع بينهما أن الله سبحانه هو المدبر أمرا وإذنا ومشيئة، والملائكة مدبرات تنفيذا وطاعة وامتثالا لأمر الله.

صفة تدبير الملائكة للكون:

١ – **التزام الأمر**. كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأَنبِيَاءِ:٢٧] أي يتقيدون بأمر الله لا يتقدمونه ولا يتأخرون عن تنفيذه.

٢- **امتثال الأمر**. كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التَّحْرِيمِ:٦] أي يطيعون الله في أمره، ولا يخالفونه إلى غيره.

٣- **السرعة في التنفيذ**، كما قال تعالى ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ [سورة النَّازِعَاتِ:٤].

٤- **الدقة وحسن التنظيم**. كما قال ﷻ ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [سورة الصَّافَّاتِ:١٦٤].

أهم أعمال الملائكة في تدبير الكون هو ما يرجع إلى الحياة:

١-تبليغ الوحي، الذي فيه صلاح الأرواح وحياتها. والموكل به جبريل

٢- مباشرة شؤون القطر والنبات، الذي فيه صلاح الأبدان وحياتها. والموكل به ميكائيل.

٣- النفخ في الصور الذي فيه فناء الحياة ثم بعثها لحياة الأخرة. والموكل به إسرافيل.

وقد وكّل بهذه المهام العظيمة سادات الملائكة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل.

تفصيل أعمال الملائكة ووظائفهم ترجع إلى قسمين:

القسم الأول: ما يتعلق بالكون

١ – **حملة العرش**. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر:٧].

وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة:١٧]

٢ – **خزنة الجنة**. قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [سورة الزمر:٧٣].

ومن عملهم أنهم يبشرون أهل الجنة ويسلمون عليهم قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٢٣، ٢٤].

وأول من يفتح له الخزنة باب الجنة هو نبينا محمد ﷺ فإنه عليه الصلاة والسلام: "يأتي فيستفتح باب الجنة فيقول له الخازن: من أنت؟ فيقول: "محمد" فيقول: أمرت ألا أفتح لأحد قبلك".

فائدة: قال الشيخ ابن عثيمين: (وأما "رضوان" فموكل بالجنة، واسمه هذا ليس ثابتا ثبوتا واضحا كثبوت مالك [يعني: خازن النار] لكنه مشهور عند أهل العلم بهذا الاسم)[(١)].

٣ – خزنة النار. وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [سورة غافر:٤٩].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [سورة العلق: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة المدثر: ٣٠، ٣١].

ورئيس خزنة النار ومقدمهم مالك. وقد جاء اسمه صريحاً في الكتاب والسنة:

أما في الكتاب فقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [سورة الزخرف:٧٧].

---

(١) مجموع فتاوى العثيمين (١١٩/٣).

وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار ورؤية النبي ﷺ له ففي صحيح البخاري من حديث سمرة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ قال: " رأيت الليلة رجلين أتاني فقالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار... وأنا جبريل وهذا ميكائيل..." [1] وفي رواية: "...فأتينا على رجل كريه المِرْآة كأكره ما أنت راءٍ رجلا مَرْآة وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها..." وقال في آخره: "...وأما الرجل الكريه المِرْآة الذي عند النار يحشّها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم... "[2]. كريه المِرْآة: أي كريه المنظر.

٣- مباشرة شؤون القطر والنبات. ومعناه أن الملك الموكل بها موكّل بكل ما يتعلق بالمطر والرياح وسوق السحاب ونزول القطر إلى الأرض وشرب الأرض الماء وإنبات النبات ونموه وإخراج ثمره وكل ما يتعلق بذلك.

وهذه الوظيفة هي وظيفة ميكائيل وله أعوان كثيرون يفعلون ما يأمرهم به من أمر ربه، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله ﷻ وقد جاء في بعض الآثار أنه: "ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض".

وقد ورد ذكره في القران قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٩٨].

وهو ذو مكانه عالية ومنزلة رفيعة عند ربه ولذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل وعطفهما على الملائكة مع أنهما من جنسهم لشرفهما من قبيل عطف الخاص على العام وكذا ورد ذكره في السنة في دعاء النبي ﷺ في صلاة الليل أنه يقول: " **اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل**.." أخرجه مسلم ولذا قال العلماء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة.

٤ – ملك الجبال. وقد ورد ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوته إياهم وعدم استجابتهم له وفيه يقول النبي ﷺ: "**فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال ذلك**

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ١٠٠) برقم ١٣٨٦، وقد تقدم.

(٢) صحيح البخاري (٩/ ٤٤) برقم ٧٠٤٧.

فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ".

والأخشبان: هما جبلان بمكة، أبو قبيس والذي يقابله.

٥ – الملك الموكّل بالنفخ في الصور. وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكة المفضلين المقدم ذكرهم.

والصور: قرن عظيم ينفخ فيه. قال النبي ﷺ: "**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر**" أخرجه أحمد

القسم الثاني: أعمال الملائكة المتعلقة ببني آدم

١ – تبليغ الوحي:

وهي مهمة جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)﴾ [سورة الشعراء:١٩٢-١٩٥].

وهو أفضل الملائكة وأكرمهم على الله وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأدية مهمته.

ولم يبلغ القرآن إلى رسول الله ﷺ غير جبريل وقد كان يراجعه ويعارضه معه. وأما ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((**بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ إذ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته**)) أخرجه مسلم. فقد يفهم منه أن غير جبريل يأتي بالوحي.

والجواب عن ذلك: أن هذا الحديث فيه أمران:

١ – أن هذا التبليغ كان بحضرة جبريل.

٢ – أن ما بلغه الملك لم يزد عن كونه بشارة، ولم يقرأ تلك الآيات.

ولجبريل أعمال أخرى غير تبليغ الوحي، فقد ثبت أنه شهد بدرا، قال ﷺ يوم بدر: ((**هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب**)) أخرجه البخاري

٢ – كتابة الحسنات والسيئات:

من الملائكة: الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾ [سورة الانفطار:١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾ [سورة ق: ١٧، ١٨].

ومعنى رقيب: يراقب مراقبة شديدة لا يفوته شيء.

وعتيد: جاهز متهيئ للكتابة وهما وصفان لكلا الملكين فكلاهما رقيب وكلاهما عتيد

قال مجاهد في تفسير الآية: (ملك عن يمينه وآخر عن يساره، فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر).

والملائكة تكتب الأعمال كلها، وتكتبها بالتفصيل ولا تكتبها بالاختصار ولا بالمعنى، بل إنها تكتب كل شيء بدقة تامة وتنسخه نسخا كما ترى وتسمع وقد دل على ذلك الآية السابقة.

وقد دلت الأدلة على أن الملائكة الكتبة تكتب أيضا أعمال القلوب، فهي داخلة في عموم قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾ [سورة الانفطار:١٠-١٢].

والفعل يشمل عمل القلب واللسان والجوارح.

٣ – حفظ بني آدم:

قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد:١١].

وهؤلاء الحفظة جماعة من الملائكة يتعاقبون على العبد من بين يديه ومن خلفه، وترفع أحوال بني آدم كل يوم مرتين وهم ملازمون لابن آدم في كل وقت.

٤ – تدبير أمر النطفة في الرحم:

وهي مهمة الملك الموكل بالرحم. عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: " إن الله ﷻ وكل بالرحم ملَكا، يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، فما الرزق والأجل، فيكتب في بطن أمه "[1].

(١) صحيح البخاري برقم ٣١٨، ومسلم برقم ٢٦٤٦.

٥ – قبض أرواحهم عند الموت:

والملك الموكل بهذه المهمة هو ملك الموت. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة:١١].

مسألة: أضيف التوفي إلى الله في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الزمر:٤٢].

وأضيف التوفي إلى ملك الموت في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة:١١].

وأضيف التوفي إلى جماعة من الملائكة في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [سورة الأنعام:٦١].

فكيف الجمع بينها؟

ج: إسناد التوفي إلى الله باعتبار الأمر والإذن والمشيئة كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [سورة آل عمران:١٤٥].

وإسناد التوفي إلى ملك الموت باعتبار كونه من يباشر قبض الروح؛ فهو الموكّل بقبضها.

وإضافة التوفي إلى جماعة من الملائكة فهؤلاء هم أعوان ملك الموت يساعدونه ويأتمرون بأمره.

٦ – سؤال الناس في قبورهم وما يترتب عليه من النعيم أو العذاب:

من الملائكة الملكان الموكّلان بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم.

وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة أخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال ((**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا**)) أخرجه البخاري

وجاء الخبر بتسميتهما المنكر والنكير: أخرج الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا قبر الميت أو قال أحدكم – أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل**)) أخرجه الترمذي وابن حبان

٧ – **تبليغ النبي ﷺ _سلامَ أمته عليه.** قال رسول الله ﷺ: ((**إن لله ﷻ ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام**)) أخرجه النسائي.

٨ – **الموكلون بمجالس الذكر.** قال النبي ﷺ: ((**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**)) أخرجه البخاري.

ويتبين مما تقدم عظم شأن الملائكة وعظم ارتباطهم بالإنسان حيا وميتا.

قال ابن القيم رحمه الله: ((والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره لهم وله شأن آخر فإنهم موكلون بتخليقه ونقله من طور إلى طور وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث وكتابة رزقه وعمله وأجله وشقاوته وسعادته وملازمته في جميع أحواله وإحصاء أقواله وأفعاله وحفظه في حياته وقبض روحه عند وفاته وعرضها على خالقه وفاطره وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب وهم المثبّتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة وهم الذين يعِدونه بالخير ويدعونه إليه وينهونه عن الشر ويحذرونه منه فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه والداعون له والمستغفرون له وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه...)).

مسائل رؤية الملائكة:

يمكن تقسيم المسائل المتعلقة برؤية الملائكة حسب التقسيمات الآتية:

أ– ما يتعلق برؤية الملائكة في الآخرة. ب– ما يتعلق برؤية الملائكة في الدنيا

أ– رؤية الملائكة في الآخرة: يراهم أهل الجنة رؤية نعيم وسلام وبشرى، ويراهم أهل النار رؤية عذاب؛ لذلك كان خزنة النار الزبانية غلاظا شدادا في غاية المنظر المزعج.

ب– ما يتعلق برؤية الملائكة في الدنيا، وهذا له حالات:

١– الشعور بوجودهم دون رؤيتهم: وهذا واقع وممكن، فقد تدنو الملائكة من الإنسان في حالات وقد يشعر بوجودها، ولكنه لا يراها ولا يبصرها، وإن كان يرى أثر وجودها كما قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ

إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ [سورة الواقعة:٨٣] وملك الموت وأعوانه يحضرون الميت، وإن كان لا يراه ولكن يرى أثر وجوده وهو الموت ونزع الروح.

٢- سماع صوتهم: وهذا وقع من الأنبياء وهو واضح، ووقع أيضا من غير الأنبياء بدلالة الأدلة كما في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ﴾ [سورة آل عمران:٤٥] والنداء يكون لمن يسمع.

ودل عليه أيضا ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمران بن حصين ﷺ أن الملائكة كانت تسلم عليه حتى اكتوى، فلما اكتوى انقطع التسليم، فلما تركه عادت[١].

٣- رؤية الخلق للملائكة، وتحته قسمان:

القسم الأول: رؤية غير الثقلين للملائكة: قال ﷺ: "إذا سمعتم صياح الدِّيَكَة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملَكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنه رأى شيطانا".

فالدِّيَكَة ترى الملائكة، ولا نعلم كيف تراها وبأي صورة تراها، فنقول كما جاء في الحديث.

القسم الثاني: رؤية الثقلين للملائكة، وتحته حالتان:

الحالة الأولى: رؤية الجن للملائكة:

دل لذلك أدلة، منها: قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال:٤٨].

والشاهد قوله: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾، والمراد به: رؤية الشيطان للملائكة[٢].

الحالة الثانية: رؤية الإنس للملائكة، وتحته صور:

الصورة الأولى: رؤية النبي ﷺ للملائكة، وتحته الأمور الآتية:

أ- رؤية النبي ﷺ للملائكة يقظة، وتحته مسألتان:

المسألة الأولى: أن يراهم يقظة على هيئتهم: رأى ﷺ جبريل مرتين في صورته التي خلقه الله عليها، وهما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [سورة التكوير:٢٣]، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى*عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [سورة النجم:١٣-١٥] عندما عرج به إلى السماوات العلا.

---

(١) ينظر خبره في صحيح مسلم برقم (١٦٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٧).

وقد ورد في صحيح مسلم: أن عائشة ﵂ سألت الرسول ﷺ عن هاتين الآيتين فقال ﷺ: "إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء، ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض".

وورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود ﵁ أنه قال: "رأى محمد ﷺ جبريل له ستمائة جناح".

المسألة الثانية: أن يراهم يقظة في صورة بشر: وهذا حدث للنبي ﷺ وتكرر، فأحياناً يرى الملكَ في صورة دحية بن خليفة الكلبي، أو في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر.

ب- **رؤية النبي ﷺ للملائكة في المنام**: ممكنة وقد وقعت للنبي ﷺ، ورؤيا الأنبياء حق، وقد عدها العلماء من مراتب الوحي.

الصورة الثانية: رؤية غير النبي ﷺ لهم، وتحته الحالات الآتية:

الحالة الأولى: رؤية غير النبي ﷺ للملائكة يقظة في الدنيا، وتحتها مسألتان:

المسألة الأولى: رؤيتهم على هيئتهم: ظاهر النصوص تدل على أنهم لا يُرون. ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه رأى الملائكة على صورتها الحقيقية إلا أن يكون نبيا يصدق قوله.

وإذا كان النبي ﷺ لم ير جبريل على صورته إلا مرتين وهاله عظم خلقه فَلَأَنْ لا يراهم غيره من بابٍ أولى.

ومن الأدلة على ذلك:

حديث حنظلة الأسدي ﵁، وفيه: "... لو كنتم تكونون في بيوتكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة وأنتم على فرشكم وبالطرق..." (١).

فأفاد الحديث أن شرط رؤية الناس للملائكة هو أن تكون قلوبهم كقلوب الصحابة -﵃- حال استماعهم الموعظة من النبي ﷺ، وإذا كان الصحابة -﵃- وهم في الإيمان في المحل الأعلى لا يستطيعون الاستمرار على هذه الحالة فغيرهم ممن هو دونهم في قوة الإيمان والتقوى من بابٍ أولى، وعند ذهاب الشرط يذهب المشروط، فعلم أن رؤية الملائكة على صورتهم التي خلقهم الله عليها مستحيلة للناس في الدنيا، ولم تقع في هذه الأمة إلا لنبينا محمد ﷺ مرتين.

---

(١) مسند أحمد برقم (١٩٠٤٥).

وأما حديث أسيد بن حضير ﷺ في نزول الملائكة لسماع قراءته فالأظهر أنهم نزلوا ورآهم على غير هيئتهم الملكية، والله أعلم وسيأتي ذكر الحديث في موضعه وتوجيهه.

المسألة الثانية: رؤية غير النبي ﷺ للملائكة يقظة على غير هيئتهم: ولها صورتان:

الصورة الأولى: أن يرى غير النبي ﷺ الملائكة على هيئة رجل:

وهذا حصل للصحابة ﷺ، فقد رأوا جبريل في صورة دحية الكلبي، وفي صورة إنسان غير معروف كما في حديث جبريل المشهور، وكذلك تمثل جبريل لمريم كما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم:١٧]، وكذلك تمثل الملائكة لإبراهيم ولوط عليهما السلام في قصة ضيف إبراهيم.

وأما من بعدهم فلا نقول إنه مستحيل، لأن الله على كل شيء قدير، فيمكن أن يتمثل بعض الملائكة ببعض الناس، لكن هذا يتوقف على الدليل.

ومن يستطيع أن يثبت أن ما رآه فلان أو فلان أنه ملك؟

وإذا كان إبراهيم ولوط عليهما السلام –وهما نبيان– لم يعرفا أن الملائكة تمثلوا على هيئة الأضياف؛ فغيرهم من بابٍ أولى.

الصورة الثانية: رؤية غير النبي لهم على غير هيئة رجل:

دل عليه حديث أسيد بن حضير ﷺ قال: (بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكتت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكتت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: "اقرأ يا ابن حضير. اقرأ يا ابن حضير" قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال: "وتدري ما ذاك؟" قال: لا. قال: "تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم".

والأقرب دخول هذه الصورة في التشكل، وأن أسيد بن حضير ﷺ رآهم على غير الهيئة التي خلقوا عليها بقرينة رؤيتهم على هيئة مصابيح لا أجنحة لها، ولو كانوا على هيئتهم لرأى أجنحتهم، وكل الملائكة لهم أجنحة مثنى أو ثلاث أو رباع أو أكثر من ذلك كما في سورة فاطر، ولم يذكر إلا رؤيته للمصابيح أو أمثال المصابيح. والله أعلم

الحالة الثانية: رؤية غير النبي ﷺ للملائكة في المنام: فقد وقع ذلك لابن عمر ﷺ قال: (رأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا، نبي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع...) رواه البخاري.

الحكمة من عدم رؤيتنا للملائكة على هيئتهم يقظة في الدنيا:

١-مادة خلق الملائكة مختلفة، وبنو آدم لما ركب الله فيهم من الضعف لا يقدرون على رؤية الملائكة على صورتهم؛ فلم يعط الله أبصارهم القدرة على هذه الرؤية.

٢- رحمة من الله بنا، ولو رأى الإنسان كل ما يحيط به من ملائكة وجن وشياطين لما نام ليلة ولأصابه الهم والحزن والخوف، ولكن ﷻ فستر عنه كثيرا من الأشياء حتى تطمئن نفسه ويهنأ في حياته.

٣- امتحانا وابتلاء لنا، حتى يتميز المؤمنون من غيرهم، فلو كان الناس يرون الملائكة لما تميز المؤمنون بإيمانهم بالغيب.

فوائد متفرقة في مسألة رؤية الملائكة:

- الأصل أن الملائكة عالم غيبي.
- ينبغي أن يحذر الإنسان فربما لبّس عليه شيطان وهو يظن أنه ملك من الملائكة، وهذا هو حال كثير من جهلة العباد.
- رؤية الملائكة في المنام ليست مصدر تشريع وإنما هي كغيرها إما مبشرات أو محذرات خلافا للصوفية الجهال.
- لم يدل دليل صحيح على رؤية الملائكة لله ﷻ في هذه الحياة الدنيا.
- ربما رأى النبي ﷺ الملك وكلمه وعنده بعض أصحابه وزوجاته ولا يرونه كما ثبت ذلك في حديث عائشة -ﷺ- أن النبي ﷺ قال لها: "يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى".

مسائل التفاضل المتعلقة بالملائكة:

١- تفاضل الملائكة فيما بينهم:

الملائكة متفاضلون بعضهم أفضل من بعض، وتفاضلهم لا يعني نقص المفضول منهم؛ وإنما مزيد فضل في الفاضل.

- أفضلهم في الجملة المقربون الذين قال الله فيهم: قال الله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء:١٧٢].

- وأفضل المقربين: الرؤساء الثلاثة الذين كان النبي ﷺ: يذكرهم في دعائه الذي يفتتح به صلاته، إذا قام من الليل فيقول: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض..".

وأفضل الثلاثة جبريل وقد سماه الله في كتابه بأسماء شريفة ووصفه بأوصاف كريمة، كلها تقتضي تفضيله على سائر الملائكة.

ومن أفضل الملائكة أهل بدر منهم، كما في الحديث أن جبريل سأل النبي ﷺ: "ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: "من أفضل المسلمين" - أو كلمة نحوها – قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة.

٢- التفاضل بين الملائكة وصالحي البشر:

الذي عليه جمهور أهل السنة تفضيل الأنبياء وصالحي البشر على الملائكة: ومن أدلتهم أمر الله للملائكة بالسجود لآدم، والفاضل لا يسجد للمفضول، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران:٣٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة:٧].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه من فضول المسائل، قال البيهقي في التفاضل بين الملائكة والبشر: "والأمر فيه سهل، وليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو به". وقال شارح الطحاوية "وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها وأنها قريب مما لا يعني ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة تفصيلاً طويلاً قرر فيه مذهب أهل السنة تفضيل صالحي البشر على الملائكة. **ونقل عنه ابن القيم:** "أنه سئل عن صالحي بني آدم

والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهين عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة". قال: "وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منها على حقه".

هل إبليس من الملائكة؟

أصح قولي أهل العلم أنه ليس من الملائكة؛ لما يلي:

١ – التصريح بذلك في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [سورة الكهف:٥٠].

٢ – لما ورد في الكتاب والسنة من وصف إبليس بالعصيان، وأن له ذرية، وأنه مخلوق من النار، وأنه يأكل ويشرب، وهذه الصفات صفات للجن لا الملائكة.

س./ ما توجيه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾ [سورة البقرة:٣٤] ونظائرها؟

ج./ أنه استثناء منقطع، فهو كائن معهم وليس منهم.

عقيدة المشركين في الملائكة

١– الإقرار بوجود الملائكة. وهذا حق.

٢– زعمهم أن الملائكة إناث. وهذا وما بعده باطل.

٣– زعمهم أن الملائكة بنات الله.

٤– عبادتهم للملائكة.

وقد بين الله ضلالهم في زعمهم أن الملائكة إناث من وجهين:

أ. نفى عن الملائكة وصف البنات بالجملة، ونعت من يصفهم بذلك بأنه لا يؤمن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ [سورة النجم:٢٧].

ب. بين الله أن دعواهم هذه لا حجة فيها، وليست عن علم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النجم:٢٨].

وقال تعالى ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)﴾ [سورة الزخرف: ١٩، ٢٠].

ثمرات الإيمان بالملائكة، وأثرها في عقيدة العبد وسلوكه:

للإيمان بالملائكة ثمرات وآثار مباركة كثيرة، منها:

١- معرفة عظمة الله وقوته وسلطانه؛ لخلقه هذا الخلق العظيم، ثم قيامهم له بالعبادة وهم لا يسأمون، ويؤدي ذلك إلى الخضوع له ﷻ.

٢- تحقيق الإيمان بالغيب.

٣- إنزال الملائكة منازلهم بأنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن، مكلفون مأمورون، فلا تبالغ بوصفهم بشيء يؤدي بهم إلى جعلهم آلهة من دون الله.

٤- أن يشكر العبد ربه على ما أولاه من عناية له؛ بأن وكّل ملائكة من ملائكته بحفظه وتدبير أموره.

٥- التأدب مع الملائكة والحياء منهم؛ لاستشعار قربهم وملازمتهم للإنسان في أحوال كثيرة، وتجنب كل ما يؤذيهم من الأقوال والأفعال، والأحوال.

٦- الاستئناس بهم في طاعة الله؛ كحديث الجلوس في المسجد بعد الصلاة.

٧- الثبات على الحق، وعدم الاغترار بكثرة الهالكين، ويكفي العبد المطيع أنه على الطاعة التي عليها الملائكة المقربون.

٨- إعطاء الملائكة حقهم من الموالاة والمحبة، وعدم معاداتهم كما فعلت اليهود.

٩- الطمأنينة في المواطن التي يحضرونها ويصلون فيها على المؤمن رجاء بركة حضورهم وتحصيل المزيد من دعائهم وصلاتهم.

١٠- يزيد إيمانه بالله وبصفاته، وذلك من وجوه عديدة.

فالإيمان بأن الملائكة تنزل من عند الله وتعرج إليه يدل على علو الله وسبحانه، وعظم خلقهم وحسن تنظيمهم يدل على عظمة الله ﷻ، ومخاطبتهم الرب ومخاطبة الرب إياهم يدل على تكلّم الله بصوتٍ يُسمع.

١١- يزيد إيمانه بالكتب، فإنه إذا علم أن الكتب منزلة من عند الله بواسطة الملك زادت ثقته بأن ما فيها من عند الله تعالى، وأنه حق وصدق.

١٢- يزيد إيمانه بالرسل: فإنه إذا علم أن الملائكة تأتيهم بالوحي، وتحفظهم وتنصر هم زاد إيمانه ويقينه بصدق الرسل، وأنهم يبلغون عن الله شرعه.

١٣- يزيد إيمانه باليوم الآخر: فعلمه بأن الملائكة هي التي تقبض روح العبد، وهي التي تتولى نعيمه وجحيمه يزيد في إيمانه باليوم الآخر.

١٤- يزيد في إيمانه بالقدر: فإنه إذا علم أن هناك معقبات من بين يديه ومن خلقه يحفظونه من أمر الله، وعلم أن ملك الرحم كتب له ما يصيبه وهو في بطن أمه علم وأيقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، ورضي بقضاء الله وقدره له.

١٥- تعظيم الله حق قدره، فإنه إذا علم عظم خلق الملائكة وقوتهم الهائلة، وعلم أنهم مع ذلك خاضعون ومطيعون ومنقادون لربهم أداه ذلك إلى تعظيم الله حق قدره في كل أموره، وجميع أعماله وأفعاله وأقواله.

١٦- نشاط العبد في الطاعة أسوة بالملائكة.

١٧- علم العبد بوظيفة الكرام الكاتبين يجعله أشد تحفظا مما يقول ويعمل، وتعظم مراقبته لله ﷻ.

١٨- العلم بأن الله يرسل الملائكة لنصرة عباده المؤمنين يدفعه إلى تلمس أسباب النصر، ويزيده ثقة بنصر الله.

١٩- تقوية عزيمة الصبر والتجلد عند المصائب؛ فإنه إذا علم أن الملائكة تحفظه، وتؤمّن على دعائه، فهذا العلم والشعور يدعو الإنسان إلى الرضا والصبر والإيمان والدعاء بالخير بدلا من الغضب والتسخط.

٢٠- إيمان العبد بأن الملائكة تبلغ صلاته وتسليمه إلى النبي ﷺ يدعوه إلى الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ. وكذلك يستفاد من هذا أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب في قبره، ويستفاد منه ضلال من يلزم نفسه التوجه إلى القبر واستقباله عند الصلاة والسلام عليه ﷺ [من بعيد].

٢١- الإيمان بالملائكة يحث العبد على حضور مجالس الذكر وحلق العلم؛ لشهود الملائكة تلك المجالس، ولأن الملائكة تحف الحاضرين، وتغشاهم الرحمة.

٢٢- الإيمان بالملائكة له أثر على سلوك العبد؛ فإن العبد إذا علم كتابة الملائكة لعمله احترز مما يكتب عليه من السيئات فاجتنبها، وحرص وأقبل على ما يكتب له من الحسنات فعملها، وإذا علم أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس ابتعد عما يؤذيها، وإذا علم فضل موافقة تأمينه تأمين الملائكة حرص على التأمين... وهكذا.

ثانياً: الإيمان بوجود الجن

تعريف الجن:

تعريف الجن لغةً:

قال ابن فارس رحمه الله: (الجيم والنون أصل واحد وهو الستر)[1].

وقال الراغب: (أصل الجَنّ ستر الشيء عن الحاسة، يقال:... جن عليه كذا ستر عليه،

قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [سورة الأنعام:٧٦]، والجَنان: القلب؛ لكونه مستورًا عن الحاسة، والمِجَنُّ والمِجَنّة: الترس الذي يجن صاحبه، قال ﷻ: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة المجادلة:١٦])[2].

وسميت الجن جناً؛ لأنهم مستترون عن حواس الإنسان.

تعريف الجن شرعا:

أمة مخلوقة من نار، عاقلة مميزة، متعبَّدة، موعودة متوعَّدة، متناسلة، مستترون عن الحواس.

حقيقة وجود الجن والحكمة من خلقهم:

الجن حقيقة لا خرافة، وهم جنس مخلوق موجود في هذا الكون غير الملائكة والبشر.

والحكمة من خلق الجن هي عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، لذلك فهم مكلفون مأمورون منهيون.

الأدلة على وجودهم، وبعض الأحكام المتعلقة بهم:

ورد ذكرهم في القرآن والسنة كثيرا، ويمكن بيان ذلك من خلال عدد من النقاط:

أ. **أفردت سورة بخبرهم** مع النبي ﷺ، وهي سورة الجن.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٠).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٢٠٣–٢٠٤).

وفيها إخبار الله لنبيه ﷺ باستماع نفر من الجن للقرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) ﴾ [سورة الجن:١-٢]

ب. **الإخبار بأنهم مكلفون كالإنس.** قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦.]، وقال تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) ﴾ [سورة الجن:١٣-١٥]

ج. **لا يعلمون الغيب.** قال تعالى في معرض الحديث عن موت سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سورة سبأ:١٤]

د. **خلقوا من نار.** قال رسول الله ﷺ: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم". [وقد تقدم].

هـ. **أن الله خلق الجن قبل الإنس من نار السموم:** كما خلق الإنس بعدهم من حمإ مسنون. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [سورة الحجر:٢٦-٢٧].

أصناف الجن:

قال الرسول ﷺ: "الجن ثلاثة أصناف: فصنف يطير في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون"(١).

الفروق بين الجن والشياطين:

الفرق بين الشيطان والجن: الفرق بينهما، أن الشيطان هو الشرير من الجن، ولهذا يقال للإنسان إذا كان شريرا شيطان، ولا يقال: جني؛ لأن قولك: شيطان يفيد الشر. ولا يفيده قولك: جني، وإنما يفيد الاستتار، ولهذا يقال على الإطلاق: لعن الله الشيطان. ولا يقال: لعن الله الجني.

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات برقم (٨٢٧)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٤١٤٨).

صفات الجن:

١. الجن يأكلون ويشربون. قال ﷺ: "إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله".

وقال ﷺ: "إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء".

٢. أنهم يتميزون بسرعة الحركة والقدرة على الأعمال الشاقة. فقد سخر الله الجن للنبي سليمان عليه السلام، فكانوا يبنون له القصور والمحاريب، ويصنعون التماثيل، ويعملون الجفان الواسعة للطعام، وحياض الماء الكبيرة، كما أخبر الله بذلك في سورة سبأ.

وفي حديث القرآن عن عفريت أحد الجان – الذي تعهد بإحضار عرش بلقيس ملكة سبأ قبل قيام سليمان عليه السلام من مجلسه – دليل على حركتهم السريعة في التنقل. وما ورد من ارتيادهم للفضاء، كما ورد في القرآن الكريم، في معرض الحديث عن استراق الجن لأخبار السماء ورميهم بالشهب.

٣. **أنهم يتناكحون ويتناسلون.** قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [سورة الكهف:٥٠]، وقال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [سورة الرحمن:٧٤]

٤. أنهم يموتون ويبعثون بعد الموت. الجن مخلوقات تموت كما يموت الإنس، فمن الأدلة القرآنية على موتهم قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [سورة الأحقاف:١٨]. وكان النبي ﷺ يقول: "أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون"(١).

وأما عن بعثهم بعد الموت فقد قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة هود:١١٩]

٥. **أن لهم قدرة على التشكل.** قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي

---

(١) صحيح البخاري رقم (٧٣٨٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٧) بلفظ: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون ".

أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال:٤٨] قال الطبري في تفسير هذه الآية: (عن ابن عباس قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشيطان، معه رايته، في صورة رجل من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك بن جعشم)[١].

وسيأتي قريباً في حديث أبي بن كعب وأبي هريرة ﷺ تشكل الشيطان لهما في صورة غلام شاب يطلب الصدقة. قال شيخ الإسلام: (والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفي صور الطير وفي صور بني آدم كما أتى الشيطان قريشا في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر)[٢].

٦. أنهم لا يُرون على خِلْقتهم.

وقد جاء في حديث أبي بن كعب ﷺ: أنه كان له جرين تمر فكان يجده ينقص فحرسه ليلة فإذا هو بمثل الغلام المحتلم فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال: أجني أم إنسي؟ فقال: بل جني. فقال: أرني يدك، فأراه فإذا يد كلب وشعر كلب، فقال: هكذا خلق الجن، فقال: لقد علمت الجن إنه ليس فيهم رجل أشد مني، قال: ما جاء بك؟ قال: أنبئنا أنك تحب الصدقة فجئنا نصيب من طعامك، قال: ما يجيرنا منكم، قال: تقرأ آية الكرسي من سورة البقرة: ﴿**الله لا إله إلا هو الحى القيوم**...﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، قال: نعم. قال: إذا قرأتها غدوة أجرت منا حتى تمسي، وإذا قرأتها حين تمسي أجرت منا حتى تصبح، قال أبي: فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال: ((صدق الخبيث))[٣]

فظاهر الحديث أنهم يُرون، فإن صح الحديث فيحمل على تشكلهم في صورة الكلاب أو أن ذلك من أحد الأصناف الثلاثة المتقدمة. والله أعلم

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٧٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٤٤).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٥٢) برقم (١٠٧٣٠)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٧٤٩) برقم (٢٠٦٤) وقال عقبه: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه). وانظر تخريجه في السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٣٢٤٥). والمشهور في الباب قصة أبي هريرة ﷺ مع الشيطان وليس فيها رؤية يد الجني وشعره وأنه على صفة يد الكلب وشعره!!! عن أبي هريرة ﷺ، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فقص الحديث، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان» صحيح البخاري برقم (٥٠١٠).

أماكن وجودهم:

١- هم يسكنون الأرض على وجه العموم.

٢- ويكثرون في أماكن، منها:

أ- الأماكن المهجورة. كالمغارات والكهوف والحمامات، والمزابل، والمقابر، والجبال.

ب- البيوت وأماكن الخلاء منها.

قال ﷺ: "إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث " وذلك ليدفع شر الشياطين التي تكون في هذه الأماكن.

وقد نهى ﷺ عن الصلاة في أعطان الإبل، والحمامات، وعلّل النهي أنها مأوى الشياطين.

٣. الأسواق. ولذلك نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن المكث فيها، فقد قال موصيا سلمان رضي الله عنه: "لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته"(١).

جوانب الضعف عند الجن:

١- أن الجن لا يعلمون الغيب:

لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النمل:٦٥] وقال في قصة موت سليمان: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سورة سبأ:١٤]

ولكن الجن قد يخبر الحاضرين بأمور تغيب عن أعينهم، وذلك إما عن طريق استراق السمع، أو بمجيئهم من البلدان النائية لأنهم سريعو التنقل.(٢)

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء، فنجده حقًّا، قال: "تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة"(٣).

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٥١).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤/ ٢٧٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٢١٣)، ومسلم برقم (٢٢٢٨)، واللفظ له.

٢- عجزهم عن الإتيان بالمعجزات:

فعندما زعم بعض الكفرة أن القرآن من صنع الشياطين قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢) ﴾ [سورة الشعراء:٢١٠-٢١٢].

وتحدى الله بالقرآن الإنس والجن: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء:٨٨].

٣- لا يتمثلون بالرسول ﷺ في الرؤيا.

ففي الحديث: "من رآني فإني أنا هو، فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي".

وهو في الصحيحين بلفظ: "من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتزيا بي".

٤- لا يستطيعون فتح باب أغلق وذُكر اسم الله عليه.

قال ﷺ: "اغلقوا أبوابكم، وخمروا آنيتكم، وأوكوا أسقيتكم، وأطفئوا سرجكم، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، ولا يكشف غطاء، ولا يحل وكاء".

طرق الاحتراز من شرّ الجن والشياطين:

١. **الاستعاذ بالله من الشيطان:** قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة فصلت:٣٦]

عن سليمان بن صرد: أن رجلين استبّا عند النبي ﷺ حتى احمرّ وجه أحدهما فقال ﷺ: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". (متفق عليه)

٢. **قراءة المعوذتين:** عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما). (رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع)

٣. **قراءة آية الكرسي:** ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن من قرأها إذا أوى إلى فراشه فإنه لن يزال عليه حافظ من الله ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

٤. **قراءة سورة البقرة:** قال ﷺ: "إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة". (رواه مسلم)

٥. **خواتيم سورة البقرة:** قال ﷺ: "من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه". (متفق عليه)

قال ﷺ: "إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان". (رواه الترمذي وصححه الألباني)

٦. قول"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير"_مئة مرة:

قال ﷺ: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك". (متفق عليه)

٧. كثرة ذكر الله ﷻ: قال ﷺ: "إن الله تعالى أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها.... ". الحديث وفيه: "وآمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثَره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى...".رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع. [أحرز: حمى ومنع]

٨. كف الصبيان عن الخروج بداية الليل حفظا لهم من الشياطين:

قال ﷺ: "إذا استجنح الليل، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين حينئذ تنتشر، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم".

٩. إغلاق الأبواب، وتغطية الآنية والأسقية ليلا: قال ﷺ: "غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الأبواب وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاءً، ولا يفتح بابا، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عوداً، ويذكر اسم الله عليه فليفعل، فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم". (متفق عليه) [الفويسقة: الفأرة]

١٠. إذا استيقظت من نومك فاستنثر بعد الاستنشاق ثلاثا: ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "إذا استيقظ أحدكم فليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه".

حكم الإيمان بوجود الجن، والأدلة على ذلك:

يجب الإيمان بوجودهم لقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [سورة النمل:١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦]

وأما إنكار وجودهم فهو تكذيب للنصوص، والصواب كفر من أنكر وجودهم؛ لأنه جحد نص القرآن والسنن المتواترة والإجماع الضروري[١].

أقوال أهل العلم في وجود الجن:

قال ابن حزم رحمه الله: (لما أخبرت الرسل الذين شهد الله ﷻ بصدقهم بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله ﷻ على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم وقد جاء النص بذلك وبأنهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم على ذلك)[٢].

وقال النووي في شرح قوله ﷺ: "فلقد هممت أن أربطه حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم"[٣]: (فيه دليل على أن الجن موجودون)[٤].

وقال ابن تيمية: (لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمدًا ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن. أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك)[٥].

وقال أيضا: (وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسول الله واتفاق سلف الإمة)[٦].

---

(١) انظر: الفتاوى الحديثية (١٢٣).

(٢) الفصل في الملل والنحل (٥/ ٩).

(٣) أخرجه البخاري، رقم (٤٦١)، ومسلم، رقم (٥٤١).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٢٩).

(٥) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠).

(٦) المصدر السابق (٢٤/ ٢٧٦).

المنكرون لوجود الجن والرد عليهم:

اتفق أهل الكتب السماوية على وجود الجن، ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة والأطباء ونحوهم[1]، حيث جعل الفلاسفة الجن قوى النفس الخبيثة، ولكن قولهم هذا مخالف لإجماع الأديان السماوية.

ويذكر عن المعتزلة أنهم ينكرون الجن، والحقيقة أن بعض المعتزلة؛ كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما ينكرون دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن، قال ابن تيمية رحمه الله: (لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمدًا ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن... أنكر طائفة من المعتزلة؛ كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن)[2].

ويرد عليهم بالأدلة المتقدمة في وجودهم وتكرر ذكرهم وصفاتهم في الكتاب والسنة وبإجماع المسلمين على ذلك.

تلبس الجن بالإنس:

المراد به: دخول الجني في بدن الإنسان، وتسلطه عليه حساً.

قال ابن تيمية رحمه الله: (...دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [سورة البقرة:٢٧٥]

وفي الصحيح، عن النبي ﷺ: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم".

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن أقواما يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع، فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه. وهذا الذي قاله أمر مشهور...

وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك)[3].

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين (ص: ١٠٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٧٦- ٢٧٧).

الاستعانة بالجن: صورها وأحكامها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن الجن مع الإنس على أحوال:

١-فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ويأمر الإنس بذلك فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه.

٢- ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم، ويستعملهم في مباحات له، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى، فغايته أن يكون في عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول: كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٣- ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله، إما في الشرك وإما في قتل معصوم الدم أو في العدوان عليهم بغير القتل كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص: إما فاسق وإما مذنب غير فاسق، وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات: مثل أن يستعين بهم على الحج، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلى عرفات، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ونحو ذلك، فهذا مغرور قد مكروا به)[1].

وقد لخص هذا الكلام الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله بعبارة أسهل فقال: (إن استخدام الإنس للجن له ثلاث حالات:

-الأولى: أن يستخدمه في طاعة الله كأن يكون نائبًا عنه في تبليغ الشرع، فمثلا إذا كان له صاحب من الجن مؤمن يأخذ عنه العلم فيستخدمه في تبليغ الشرع لنظرائه من الجن، أو في المعونة على أمور مطلوبة شرعًا فإنه يكون أمرًا محمودًا أو مطلوبًا وهو من الدعوة إلى الله عز وجل والجن حضروا النبي ﷺ، وقرأ عليهم القرآن وولوا إلى قومهم منذرين، والجن فيهم الصلحاء، والعباد والزهاد، والعلماء؛ لأن المنذر لا بد أن يكون عالمًا بما ينذر عابدًا.

---

(١) المصدر السابق (١١/٣٠٧-٣٠٨).

-الثانية: أن يستخدمهم في أمور مباحة فهذا جائز بشرط أن تكون الوسيلة مباحة، فإن كانت محرمة فهو محرم مثل أن لا يخدمه الجني إلا أن يشرك بالله كأن يذبح للجني ويركع له أو يسجد ونحو ذلك.

-الثالثة: أن يستخدمهم في أمور محرمة كنهب أموال الناس وترويعهم وما أشبه ذلك، فهذا محرم لما فيه من العدوان والظلم، ثم إن كانت الوسيلة محرمة أو شركًا كان أعظم وأشد)[1].

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ٢٩٠)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٣٠٧-٣٠٨).

ثالثاً: الإيمان بالكتب

المراد بالكتب:

هي الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

مفهوم الإيمان بالكتب:

معنى الإيمان بالكتب هو: أن تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وتؤمن بأن لله كتبا أخرى قد أنزلها على رسله لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله الذي أنزلها.

والإيمان بالكتب المتقدمة: يعني الإيمان بأصولها التي أنزلها الله، بخلاف ما يوجد بين أيدي الناس اليوم، لما وقع فيها من التحريف والتبديل.

فالإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقا وأن الله قد تكلم بها.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزَّبُور الذي أوتيه داود ﷺ، وأما ما لم نعلم اسمه؛ فنؤمن به إجمالا.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة. (مما جاء ذكره عنهم في الكتاب والسنة).

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء أفهمنا حكمته أم لم نفهمها، (والذي لم ينسخ هو القرآن).

حكم الإيمان بالكتب، وأدلة ذلك:

الإيمان بكتب الله التي أنزل على رسله كلها ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به.

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، وجاء فيهما على وجوه متعددة، منها:

١- الإخبار عن كتب الله أنه أنزلها على رسله.

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَ ٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة البَقَرَة:٢١٣]

٢- الأمر المباشر بالإيمان بالكتب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النِّسَاءِ:١٣٦]

فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه، فأمرهم بالإيمان بالله ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ وهو القرآن، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ﴾ والكتاب هنا اسم جنس، والمراد به جميع الكتب المتقدمة: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، ثم بين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضل ضلالا بعيدا لكفره بالله.

٣- الإخبار عن جزاء المكذبين بالكتب.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [سورة غَافِرٍ:٧٠-٧٢]

وأما السنة فقد دلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب، وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، دل على ذلك حديث جبريل، وسؤاله النبي ﷺ عن أركان الإيمان، فذكر النبي ﷺ في إجابته: الإيمان بالكتب مع بقية أركان الإيمان.

الحكمة من إنزال الكتب:

١– **إقامة الحجة على الخلق في التوحيد.** ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [سورة النِّسَاءِ:١٦٥] ولا معنى لإرسال الرسل إلا بما أرسلوا به وهو الوحي بالكتب، فالبشارة والنذارة هي فيما أرسلوا به من آيات الكتب.

٢– **رد الناس إلى التوحيد إذا اختلفوا فيه.** ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ [سورة البَقَرَةِ:٢١٣].

٣– **الحكم بين الناس بالعدل.** ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [سورة الحَدِيدِ:٢٥]

٤– **تأييد الرسل.** ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ [سورة آلِ عِمْرَانَ:١٨٤]

فإنزال الكتب من رحمة الله بعباده لحاجة البشرية إليها؛ لأن عقل الإنسان محدود، لا يدرك تفاصيل النفع والضرر، وإن كان يدرك الفرق بين الضار والنافع إجمالاً، والعقل الإنساني – أيضا – تغلب عليه الشهوات وتلعب به الأغراض والأهواء، فلو وكلت البشرية إلى عقولها القاصرة؛ لضلت وتاهت. فاقتضت حكمة الله ورحمته أن ينزل هذه الكتب على المصطفين من رسله؛ ليبينوا للناس ما تدل عليه هذه الكتب، وما تتضمنه من أحكامه العادلة ووصاياه النافعة وأوامره ونواهيه الكفيلة بإصلاح البشرية.

الكتب السابقة، حالها، والموقف منها إجمالاً:

أشهرها: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم. وسيأتي الحديث عنها مفصلة.

وكلها منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [سورة المائِدَةِ:٤٨]قوله: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾: أي حاكما عليه.

وعلى هذا، فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها، وأقره القرآن.

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سُورَةُ الفُرْقَانِ:١]. وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المائِدَةِ:١٥-١٦]

وقال تعالى آمرا نبيه ﷺ أن يحكم بين أهل الكتاب بالقرآن ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة المائِدَةِ:٤٨]

ومن السنة حديث جابر بن عبد الله ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني» ومعنى متهوكون: متحيرون.

وكتاب الله تعالى يختلف عن الكتب السابقة من جهتين:

الأولى: أن تلك الكتب قد دخلها التحريف والتغيير والتبديل بخلاف كتاب الله ﷻ فإنه محفوظ بحفظ الله.

الثاني: أن الكتب السابقة جميعًا منسوخة بالقرآن، والقرآن ناسخ لا منسوخ، فهو الذي يجب العمل به ولا يجوز العمل بالكتب السابقة.

فالقرآن هو آخر الكتب المنزلة وهو الناسخ لها جميعا وهو الذي يجب أن نؤمن به بالتفصيل وهو الذي يجب العمل به وحده، ومن عمل بالكتب السابقة فهو كافر بالقرآن وكافر بالكتب السابقة.

***الواجب الإيمان بكتب الله جملة من غير تفريق بينها**

والتفريق بين كتب الله له صورتان:

◆ **الصورة الأولى: الإيمان ببعض الكتب والكفر ببعضها.**

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا *) (سورة النساء: ١٥٠-١٥١)

وممن وقع منه الإيمان ببعض الكتب والكفر ببعضها: **اليهود**؛ حيث آمنوا بالتوراة، وكفروا بالإنجيل والقران.

الكفر ببعض الكتب هو كفر بها جميعا:

١. لأن مصدرها واحد.

٢. لأنها اتفقت على الأصول الاعتقادية والعملية.

٣. لأن كل كتاب منها يأمر بالإيمان بالكتب الأخرى.

الصورة الثانية: الإيمان ببعض الكتاب الواحد والكفر ببعضه.

قال ﷻ: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) (البقرة: ٨٥)

وقد حصل هذا من عدد من الطوائف، منهم:

١. **اليهود.** فآمنوا ببعض ما في التوراة، وكفروا ببعضها، ومن ذلك أن الله أخذ عليهم في كتابهم ألا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم؛ فلم يعملوا به، بل حصل منهم نقيضه. قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (سورة البقرة: ٨٤-٨٥)

كان الأوس والخزرج قبل مبعث النبي ﷺ مشركين وكانوا يقتتلون على عادة الجاهلية فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة. فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى

من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضا. والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم بعضا، وإذا وجدوا أسيرا منهم، وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ) وهو فداء الأسير (وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) وهو القتل والإخراج.

٢. القرآنيون. حيث آمنوا ببعض القران، وكفروا ببعضه، ومما كفروا به من القرآن: النصوص الآمرة باتباع رسول الله ﷺ وطاعته.

***اتفاق كتب الله في الملة والأصول وتنوع شرائعها:**

◆ **مواضع الاتفاق بين الكتب:**

١. الملة وأصول الاعتقاد.

قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (المائدة: ٤٨)

وقال تعالى في إقامة الدين:

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ (الشورى: ١٣)

وقال في ملة الاعتقاد:

(وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) (البقرة: ١٣٠)

ثم قال: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ) (البقرة: ١٣٢)

وقال تعالى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ) (النساء: ١٣١).

٢.الأصول العملية كأصل الصلاة والزكاة والصوم.

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) (مريم: ٣١)

٣. أصول الآداب.

قال تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ). (الأحقاف: ٣٥)

◆ **مواضع الاختلاف: تفاصيل الشرائع.**

قال ﷺ: "الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى".

***ما الحكمة من تنوع الشرائع مع اتفاق الأصول؟**

ج: توحيد الخلق على توحيد الخالق.

فلما كان اليهود أهل مكر وحيل وخداع وكذب وافتراء على الله جاءت شريعتهم شديدة عليهم، فيها إصر وأغلال حتى تقودهم إلى توحيد الخالق.

ولما كان نبينا ﷺ خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة الشرائع، ورسالته عامة لجميع الثقلين الإنس والجن، ودعوته باقية إلى قيام الساعة، جاءت شريعته يسرا، مصلحة لحال الناس في كل زمان ومكان، تأخذ بأيديهم إلى توحيد الخالق وعبادته على أتم الوجوه.

ثمرات الإيمان بالكتب:

١. شكر الله تعالى على لطفه بخلقه حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

٢. ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها.

٣. إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثله.

٤. السير على طريق مستقيمة واضحة لا اضطراب فيها ولا اعوجاج.

٥. الفرح بذلك الخير العظيم ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

تفصيل القول في كتب الله المعلومة أسماؤها:

١. التوراة. وهي كتاب الله الذي آتاه موسى عليه السلام. قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ). (سورة القصص: ٤٣)

وفي حديث الشفاعة الطويل من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا: (فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصابها ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه تكليما)

وقد ألقى الله التوراة على موسى مكتوبة في الألواح وفي ذلك يقول سبحانه (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ). (سورة الأعراف: ١٤٥) قال ابن عباس: (يريد ألواح التوراة).

- **وقت نزول التوراة:** قال ﷺ: (أنزلت التوراة لست من رمضان).
- **صفة نزول التوراة:** كتبها الله بيده، وأعطاها موسى عليه السلام.

ففي حديث احتجاج آدم وموسى من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أخرجاه في الصحيحين.

والتوراة هي أعظم كتب بني إسرائيل وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنزلها الله على موسى وقد كان على العمل بها أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى كما قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ). (سورة المائدة: ٤٤)

٢. **الزبور**.وهو كتاب الله الذي أنزله على داود عليه السلام. قال تعالى: (وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا). (الإسراء: ٥٥)

قال قتادة في تفسير الآية: كنا نحدث أنه دعاء، علمه الله داود وتحميد وتمجيد لله ﷻ ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود.

- **زمن نزوله:** قال ﷺ: (أنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان).
- **محتوياته:** أذكار وحكم ومواعظ.

٣. الإنجيل.وهو كتاب الله الذي أنزله على عيسى ابن مريم عليه السلام. قال تعالى: (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) (المائدة: ٤٦)

وقد أنزل الله الإنجيل مصدقا للتوراة وموافقا لها كما تقدم في الآية السابقة.

قال بعض العلماء: لم يخالف الإنجيل التوراة إلا في قليل من الأحكام مما كانوا يختلفون فيه كما أخبر الله عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: (وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ). (آل عمران: ٤٥)

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصا على البشارة بنبينا محمد ﷺ. قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ). (سورة الأعراف: ١٥٧)

◆ **زمن نزوله:** قال ﷺ: (أنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان).

٤. **صحف إبراهيم.** وقد جاء ذكرها في موضعين من كتاب الله. الأول في سورة النجم في قول الله تعالى: (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

والثاني في سورة الأعلى، قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)).

فأخبر الله ﷻ عن بعض ما جاء في هذه الصحف من وحيه الذي أنزله على رسوله إبراهيم عليه السلام.

◆ **زمن نزولها:** قال ﷺ: (أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان).

أدلة تحريف التوراة والإنجيل:

دل إجماع المسلمين المستند إلى أدلة الكتاب والسنة على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل. وقد جاء هذا في النصوص على وجوه ومراتب متعددة:

١. ما جاء من أن أهل الكتاب نسوا حظا من كتابهم.

قال تعالى: (وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) (سورة المائدة: ١٤)

والنسيان مشعر بإهمالهم وعدم اهتمامهم بما أنزل اليهم، ويشمل نسيان العمل ونسيان العلم.

٢. ثم إن ما لم ينسوه فقد كتموه.

قال تعالى: (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ). (سورة البقرة: ١٤٦)

٣. ثم ما لم يكتموه فقد حرفوه.

قال تعالى في حق اليهود: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ). (سورة البقرة: ٧٥)

قال ﷻ: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ). (سورة النساء: ٤٦)

٤.وقع منهم تحريف التلاوة باللسان.

قال تعالى: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ). (سورة آل عمران: ٧٨)

٥.ووقع منهم تحريف الكتابة بالبنان.

قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ). (سورة البقرة: ٧٩)

٦.حرفوا الألفاظ والمعاني معا.

قال ﷺ: (قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة) متفق عليه.

٧.كان تحريفهم بالزيادة والنقص.

فدليل **الزيادة** قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ). (سورة البقرة: ٧٩)

ودليل النقص قوله تعالى: (يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ). (سورة المائدة: ١٥)

٨.تحريفهم لكتبهم كان عن علم وقصد.

قال الله تعال: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (سورة البقرة: ٧٥)

قال الطبري ﷺ: قال ابن زيد في قوله: (يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) قال: التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها؛ يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا، والحق فيها باطلا، والباطل فيها حقا، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب؛ فهو فيه محق، وإذا جاء أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء؛ أمروه بالحق، فقال لهم: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ)

وقد اتفق علماء المسلمين- بل واليهود والنصارى- على أن التوراة والإنجيل قد دخلهما التحريف والتغيير.

قال شيخ الإسلام: (ولكن علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب متفقون على وقوع التحريف- أي: في كتب أهل الكتاب- في المعاني والتفسير).

فاليهود أنفسهم قد اتفقوا على وقوع التحريف في كتابهم؛ كما ذكر ذلك عنهم شهاب الدين القرافي رحمه الله حيث قال: (طائفة من اليهود يقال لهم السامرية، اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفا شديدا، والسامرية يدّعون عليهم مثل ذلك التحريف، ولعل الفريقين صادقان، فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به مع تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود؟ فكفونا بأنفسهم عن أنفسهم).

ومن ذلك أيضا أنهم يعترفون أن سبعين كاهنا منهم اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر- حرفا من التوراة، وقد نقل ذلك ابن القيم رحمه الله بقوله: (واليهود تقر أن السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة، وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذي كانوا تحت قهرهم؛ حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم، ومن رضي بتبديل موضوع واحد من كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف غيره، واليهود تقر أيضا أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهرا وزادوا ونقصوا، والسامرة تدعي ذلك عليهم).

أما النصارى فقد ذكر ابن حزم رحمه الله أنهم متفقون على أن هذه الأناجيل التي بين أيديهم عبارة عن تواريخ ألفها أصحابها في أزمان مختلفة حيث يقول: (النصارى لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله تعالى على المسيح، ولا أن المسيح عليه السلام أتاهم بها، بل كلهم أولهم عن آخرهم لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة).

❑ **الأدلة المحسوسة الدالة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل منها ما يلي:**

١. **انقطاع السند،** وعدم حصول التواتر في نقلها، فليس في أسفار اليهود وأناجيل النصارى ما تصح نسبته إلى أنبيائهم عليهم السلام.

فالتوراة لم يتم تدوينها إلا بعد موسى عليه السلام، ثم إن نسخة التوراة الأصلية قد ضاعت أيام الغزو البابلي لليهود، كما شهد بذلك أهل العلم منهم، ثم أعادوا كتابتها مرة أخرى.

وأما الإنجيل فإن الذي بأيدي النصارى منه أربع كتب مختلفة؛ وهم جميعاً متفقون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال وهم: يوحنا ومتى ومرقس ولوقا، ثم إن مرقس ولوقا لم يكونا من حواريي المسيح عليه السلام.

٢.التناقض الواضح والتعارض الفاضح بين نصوص التوراة،

وكذلك الحال في نصوص الأناجيل، ولو كانت كلام الله حقيقة لاستحال أن يلحق بها تناقض أو اختلاف، يقول الله ﷻ: **"وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"**. (سورة النساء: ٨٢)

٣. شهادة بعض علماء اليهود والنصارى على وقوع التحريف في كتبهم؛

وخاصة من رجع منهم إلى الحق، واتبع شريعة محمد ﷺ.

وفي هذه الأدلة أوضح دلالة على أن الكتب التي سبقت القرآن الكريم قد وقع فيها التغيير والتبديل، وأن أهل الكتاب قد غيروا وبدلوا عن علم وإصرار.

الواجب على المسلم في الإيمان بالتوراة والإنجيل.

الواجب هو الإيمان بالأصول الأولى لهذين الكتابين قبل أن يدخلهما التحريف.

وعليه فالكتب التي بين أيديهم اليوم لا يخلو الأمر فيها من أحد ثلاثة أحوال:

١. أن يأتي في كتابنا ما يدل على تصديقه = فواجب تصديقه؛ لخبر كتابنا.

٢. أن يأتي في كتابنا ما يدل على كذبه وبطلانه = فواجب تكذيبه.

٣. ألا يرد في كتابنا خبر عن شيء معين فيها، وهذا مما لا يمتنع أن يكون من عند الله تعالى؛

فلهذا أمرنا أن نكل علمه إلى الله تعالى، ولا نقطع فيه بشيء، ولا نصدقهم ولا نكذبهم فيه. لحديث أبي هريرة ﷺ قال: (كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا (**آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**) الآية. رواه البخاري.

وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهُمْ وَلا تكذَّبُوهُم، وَقُولُوا آمنا بالله ورسله، فإن كان باطلا لم تصدقوه، وإن كان حقا لم تكذبوه) رواه أبو داود وصححه الألباني.

وفي هذه الجملة التي أرشد إليها النبي ﷺ احتياطا للإيمان:

- فإن كان ما ذكروه حقا في نفسه فنحن لم نكذب به، لأننا أخبرنا عن إيماننا بما أنزل الله، والذي ذكروه مما أنزله.
- وإن كان الذي ذكروه باطلا في نفسه فنحن لم نؤمن به، لأننا أخبرنا عن إيماننا بما أنزل الله، وهذا الذي ذكروه لم ينزله الله.

طرق العلم بما في كتب أهل الكتاب، وأحكامها:

١. **أن يخبرونا هم بما في كتبهم:** لا نصدقهم ولا نكذبهم. لحديث أبي هريرة السابق.

٢. **أن نبتدئ نحن بسؤالهم فيجيبوننا:** وهذا محرم أصله.

ولهذا كان ابن عباس ﷺ يقول "كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْدَثُ، تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا؟ أَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ " رواه البخاري.

٣. **قراءة كتبهم والنظر فيها:** وهذا محرم تحريما شديدا.

فقد جاء النهي الشديد عن مطالعتها.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ – ﷺ – فَغَضِبَ وَقَالَ « أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لاَ تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَىْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي ».رواه أحمد وحسنه الألباني.

وقد نقل السبكي عن جماعة من الشافعية أنه لا يحل إمساكها، بل إن كانت على جدار ونحوه غسلت.

وعن الإمام أحمد، أنه سئل عن القراءة في كتبهم فغضب ﷺ وقال: هذه مسألة مسلم؟!

وقد أجمع أهل العلم على تحريم ذلك إلا بشرطين:

١. أن يكون عالما راسخا في العلم، لديه العلم والحجة والمعرفة بطرق المحاجة والمناظرة.

٢. أن تكون القراءة لمصلحة شرعية كالرد عليهم.

فلا تجوز قراءة غير الراسخ في كتبهم؛ فنحن مأمورون ألا نصدقهم وألا نكذبهم فيما يحكونه من أخبار لم تأت في شرعنا، وغير الراسخ لا يؤمن عليه أن يصدق بما هو باطل أو يكذب بما هو حق، فالقلوب ضعيفة، والشبه خطافة وقد تستقر الشبهة في القلب، فيعسر إخراجها.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: (الكتب السماوية السابقة وقع فيها كثير من التحريف والزيادة والنقص كما ذكر الله ذلك، فلا يجوز للمسلم أن يقدم على قراءتها والاطلاع عليها إلا إذا كان من الراسخين في العلم ويريد بيان ما ورد فيها من التحريفات والتضارب بينها).

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

هل يجوز للمسلم أن يقتني الإنجيل ليعرف كلام الله لعبده ورسوله عيسى عليه الصلاة والسلام ؟

فأجاب: (لا يجوز اقتناء شيء من الكتب السابقة على القرآن، من إنجيل أو توراة أو غيرهما، لسببين:

- السبب الأول: أن كل ما كان نافعا فيها فقد بينه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.
- السب الثاني: أن في القرآن ما يغني عن كل هذه الكتب؛

لقوله تعالى: " نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" (آل عمران: ٢) وقوله تعالى "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ". (المائدة: ٤٨)

فإن ما في الكتب السابقة من خير موجود في القرآن.

أما قول السائل إنه يريد أن يعرف كلام الله لعبده ورسوله عيسى، فإن النافع منه لنا: قد قصه الله في القرآن، فلا حاجة للبحث في غيره. وأيضا: فالإنجيل الموجود الآن محرف، والدليل على ذلك أنها أربعة أناجيل، يخالف بعضها بعضا. وليست إنجيلا واحدا، إذن فلا يعتمد عليه.).

منزلة القرآن من الكتب المتقدمة:

قال الله تعالى فيه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة:٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآن أَن يُفْتَرَى مِنْ دُوْنِ الله وَلَكِن تَصْدِيق الَّذِي بَين يَدَيْهِ وَتَفْصِيْلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾ [سورة يونس:٣٧].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف:١١١].

قال أهل التفسير: (مهيمنا) مؤتمنا، وشاهدا، على ما قبله من الكتب، ومصدقا لها، يعني: يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير.

فهيمنة القرآن على الكتب السابقة لها أربعة أوجه:

١. أن القرآن مصدق للصحيح منها: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سورة المائدة:٤٨].

٢. أن القرآن شاهد بتحريف ماحُرّف منها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة النمل:٧٦].

٣. أن القرآن حاكم بإقرار ما أقره الله تعالى منها، كآية الرجم التي قرأها النبي ﷺ وأمر اليهود بالرجم بعد ذلك، وكان القارئ الذي كان يقرأ وضع يده عليها، فقال عبد الله بن سلام: مره يا رسول الله أن يرفع يده فرفع يده فإذا بآية الرجم.

٤. أن القرآن حاكم بما نسخه الله منها، فكل الأحكام التي كانت في الكتب السابقة منسوخة بالقرآن الكريم. فهيمنة القرآن على الكتب السابقة أنه شاهد عليها في الخبريات، وحاكم عليها في العمليات، كما ذكره شيخ الإسلام. ولهذا يخضع للقرآن العظيم كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه، كما قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣)﴾ [سورة القصص:٥٢-٥٣].

وهذا حصل من النجاشي -رحمه الله- فإنه لما تلي عليه شيء من القرآن أدرك أن الذي تكلم بهذا القرآن وتكلم قبله بالتوراة واحد وهو الله ﷻ فآمن، فكل من كان سليم القلب والفطرة من أهل الكتاب إذا تلا كتاب الله تعالى فإنه لابد وأن يذعن بأن هذا القرآن هو كلام الله، وأن الذي تكلم به هو الذي تكلم بالكتب التي سبقته.

خصائص القرآن الكريم:

١. اعتقاد عموم دعوته لعموم الثقلين من الجن والإنس.

٢. اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة.

٣. سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويسرها.

٤. تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي.

٥. أنه المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية إلى قيام الساعة.

٦. أن الله تعالى بين في القرآن كل ما يحتاج إليه الناس.

٧. أن الله تعالى يسر القرآن للذكر فيسره للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه.

٨. أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل.

٩. أن القرآن مشتمل على أخبار الأمم الماضية بما لم يسبق إليه كتاب قبله.

١٠ أن القرآن هو آخر كتب الله نزولا وخاتمها والشاهد عليها.

مسائل في الاستدلال بالقرآن الكريم.

١. القرآن مصدر التلقي:

من أصول عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة في منهج التلقي والاستدلال اتباع ما جاء في كتاب الله ﷻ وما صح من سنة نبيه ﷺ ظاهرا وباطنا، والتسليم لها، وهذا بالإجماع.

قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [سورة النساء:٥٩].

قال العلماء: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد مماته ﷺ.

٢. درء التعارض بين نصوصه

ممّا ينبغي اعتقاده: ضرورة الاتفاق بين نصوص الكتاب والسنة، ونفي التعارض والاختلاف بينها، وأنّ ما يظنّ من تعارض واختلاف بين بعض النصوص فذلك بحسب الظاهر للناظر لا في نفس الأمر. فلا يمكن أن تتعارض نصوص الشرع الثابتة، لأنها من عند الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء:٨٢].

٣. العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه، ورد المتشابه إلى المحكم:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل عمران: ٧

فأهل الزيغ والهوى يستدلون بالمتشابه دون المحكم لأمرين:

ابتغاء الفتنة، بإضلال أتباعهم وإيهامهم أنهم يحتجون بالقرآن.

ابتغاء تأويله، بتفسير ما يحتمل عدة معاني على ما يوافق أهواءهم دون إعمال الطريقة الصحيحة في الفهم والاستدلال. قال ابن كثير: (إنما يأخذون منه بالمتشابه، الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، أما المحكم فلا نصيب لهم فيه، لأنه دامغ لهم وحجة عليهم).

٤. وجوب فهمه بفهم السلف الصالح:

السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم أعمق صلة بكلام الله ورسوله، وأصح لسانا وأطهر الناس سيرة، زكّاهم الله تعالى ورضي عنهم، فهم خير الأمة وأفقه الأمة بالقرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [سورة لقمان:١٥]

قال الإمام ابن القيم في بيان وجه الاستدلال بالآية: (كل من الصحابة منيب إلى الله فيجب اتباع سبيله. وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله).

وفي الصحيحين يقول رسول الله ﷺ: (خير أمتي قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم).

وذكر شيخ الإسلام اتفاق أهل السنّة والجماعة على أنّ خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها هم القرن الأول.

***ما الذي يجب التزامه في حق القرآن على جميع الأمة؟**

هو اتباعه ظاهرا وباطنا والتمسك به والقيام بحقه، قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٥]. وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [سورة الأعراف:٣]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٠]. وهي عامة في كل كتاب والآيات في ذلك كثيرة

وأوصى النبي ﷺ بكتاب الله فقال: (فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به)

وفي حديث علي مرفوعا: (إنها ستكون فتن). قلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (كتاب الله). وذكر الحديث[١].

ومما يدخل في معنى التمسك بالكتاب والقيام بحقه:

حفظه وتلاوته والقيام به آناء الليل والنهار، وتدبر آياته وإحلال حلاله وتحريم حرامه والانقياد لأوامره، والانزجار بزواجره والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده، وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، والنصيحة له بكل معانيها والدعوة إلى ذلك على بصيرة[٢].

---

(١) ينظر: أعلام السنة المنشورة للحكمي (ص: ٤٥).

(٢) المصدر نفسه.

***ويمكن تلخيص واجبنا تجاه القرآن في ثلاثة أمور:**

الأمر الأول: اعتقاد ما دل عليه، سواء تعلق بأسماء الله وصفاته أو تعلق باليوم الآخر.

الأمر الثاني: العمل بما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

الأمر الثالث: تعظيمه وإجلاله.

*** ما حكم من قال بخلق القرآن؟**

القرآن كلام الله ﷻ حقيقة حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، تكلم الله به قولا وأنزله على نبيه وحيا، وآمن به المؤمنون حقا، فهو وإن خط بالبنان وتلي باللسان وحفظ بالجنان وسمع بالآذان وأبصرته العينان لا يخرجه ذلك عن كونه كلام الرحمن، فالأنامل والمداد والأقلام والأوراق مخلوقة، والمكتوب بها غير مخلوق، والمتلو بها على اختلافها غير مخلوق، والصدور مخلوقة والمحفوظ فيها غير مخلوق، والأسماع مخلوقة والمسموع غير مخلوق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨)﴾ [سورة الواقعة:٧٧-٧٨]

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [سورة الكهف:٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦].

وقال ابن مسعود ﷺ: (أديموا النظر في المصحف).

ومن قال القرآن أو شيء من القرآن مخلوق فهو كافر كفرًا أكبر يخرجه من الإسلام بالكلية؛ لأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، وكلامه صفته، ومن قال شيء من صفات الله مخلوق فهو كافر(١).

أدلة صدق القرآن الكريم

١. **تحدي الله تعالى للجن والإنس على أن يأتوا بمثله؛** فلم يأتوا، ولن يأتوا.

تحدى الله الإنس والجن على أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور فقط، فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بمثل أصغر سورة من القرآن فلم يستطيعوا، مع أنه مركب من هذه الحروف التي تتكون منها لغتهم.

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص: ٤٦).

وقد نزل القرآن على أمة أمية في كل شؤون الحياة، إلا الكلمة وتذوقها، فهم أربابها وأصحابها.

بعث فيهم محمد ﷺ فلم تكن معجزته في شيء لا يتقنونه، بل تحداهم فيما يدركون، وفيما هم فيه بارزون.

ومع هذا أعلنوا عجزهم التام الكامل، وبقي التحدي على مدار التاريخ، فلم يستطع أحد من الخلق أن يأتي بشيء من ذلك، ولو كان هذا كلام بشر لاستطاع بعض الخلق أن يأتي بمثله أو قريبا منه.

والأدلة على هذا التحدي من القرآن كثيرة منها قوله تعالى يتحداهم بأن يأتوا بعشر سور فقط: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة هود:١٣].

وقال تعالى يتحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة فقط: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٣].

المعنى: فإذا عجزتم عن ذلك – وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة – فقد علمتم أن غيركم أعجز منكم عن الإتيان بذلك، ثم قال الله لهم: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفعَلُوا﴾ [سورة البقرة:٢٤]. فقوله: ﴿وَلَنْ تَفعَلُوا﴾ فيه إثارة لهممهم، وتحريك لنفوسهم، ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها، فدل عجز العرب عن الإتيان بمثله – مع أنهم أفصح الناس – على أن القرآن وحي من عند الله، ثم أعلنها الله تعالى صراحة للعالم أجمع "الإنس والجن" في تحد باهر إلى يوم القيامة: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء:٨٨]. فلم يجيبوا هذا التحدي بشيء، وحادوا عنه فادعوا دعاوى فارغة، كقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ [سورة الأنفال:٣١].

٢. تكفل الله بحفظه من التبديل والتغيير.

مما يدل دلالة قطعية على أن هذا القرآن ليس من عند الرسول ﷺ، وإنما هو وحي من الله أوحاه له:

أنه محفوظ عن التغيير والتبديل، فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحريف والتبديل وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله له وصيانته إياه كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩].

قال الطبري في تفسير الآية: (قال وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه).

كما أخبر الله في آيات أخرى عن تمام إحكامه للقرآن وتفصيله وتنزيهه من كل باطل فقال عز من قائل: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢].

وقال تعالى: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود:١]. وقال ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة:١٦-١٧].

فدلت هذه الآيات على كمال حفظ الله للقرآن لفظا ومعنى بدءا بنزوله إلى أن يأذن الله برفعه إليه سليما من كل تغيير أو تبديل.

إذ تكفل بتعليمه لنبيه ﷺ، ثم جمعه في صدره وبيانه له وتفسيره في سنته المطهرة، ثم ما هيأ الله له بعد ذلك من عدول الرجال الذين حفظوه في الصدور والسطور، عبر الأجيال والقرون، فبقي سليما منزها من كل باطل، يقرؤه الصغار والكبار، على مختلف الأعصار والأمصار، غضا طريا كما أنزل من الله على رسوله ﷺ.

فكل حرف منه ينقله الآلاف من الآلاف على مدار التاريخ لم يختلفوا في حرف واحد منه، ولو حاول أي شخص أن يحرف فيه أو يزيد أو ينقص فإنه يفتضح مباشرة لأن الله سبحانه هو الذي تكفل بحفظ القرآن بخلاف غيره من الكتب السماوية التي أنزلها الله لقوم النبي فقط وليس لجميع الخلق، فلم يتكفل بحفظها بل وكل حفظها إلى أتباع الأنبياء فلم يحفظوها بل دخلها التحريف والتغيير المفسد لكثير من ألفاظها ومعانيها.

٣. سلامته من النقص أو الخطأ أو الاختلاف أو التناقض:

إن البشر مهما كانوا من العلم والفهم فلابد أن يقع منهم الخطأ والسهو، والنقص، فلو كان القرآن ليس كلام الله لحصل فيه أنواع من الاختلاف والنقص كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء:٨٢]. ولكنه سالم من أي نقص أو خطأ أو تعارض، بل كله حكمة ورحمة وعدل، ومن ظن فيه تعارضا فإنما أتي من عقله المريض، وفهمه الخاطئ، ولو رجع إلى أهل العلم لبينوا له الصواب، وكشفوا عنه الإشكال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ [سورة فصلت:٤١-٤٢].

٤. اشتماله على الآيات الكونية والنفسية التي لم يعرفها الخلق إلا قريبا.

هناك أشياء كثيرة لم يتم اكتشافها إلا بعد تجارب طويلة مريرة بأحدث الأجهزة، قد أخبرنا الله عنها في القرآن، قبل ما يقرب من خمسة عشر قرنا، ومنها:

١. أحوال الجنين، ومراحل نموه، وأنه ينتقل من طور إلى طور (نطفة فعلقة فمضغة...)

فمنذ أقل من ٧٠ عاما فقط تأكد الباحثون من أن الإنسان لا يوجد دفعة واحدة إنما يمر بأطوار ومراحل.

٢.أحوال البحار وأن في عمق البحر جزءا سفليا فيه أمواج عاتية وظلمات.

قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [سورة النور: ٤٠].

يقول المختصّون: كان الإنسان في الماضي لا يستطيع أن يغوص بدون استخدام الآلات أكثر من عشرين مترا.. ولكننا نغوص الآن في أعماق البحار بواسطة المعدات الحديثة فنجد ظلاما شديدا على عمق مائتي متر. فقوله تعالى: ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ [سورة النور: ٤٠]. ثبت علميا أن هناك فاصلا بين الجزء العميق من البحر والجزء العلوي، وأن هذا الفاصل مليء بالأمواج فكأن هناك أمواجا على حافة الجزء العميق المظلم من البحر وهذه لا نراها

وهناك أمواج على سطح البحر وهذه نراها... فكأنها موج من فوقه موج.

٥.إخبار القرآن عن المغيَّبات المستقبَلة ووقوعها كما أخبر.

حوى القرآن الكريم جملة من أخبار الغيب تجعل الإعجاز في القرآن إعجازاً مركباً، إن كان خصومه عجزوا عن الإتيان بمثله مفرداً، فهم عن الإتيان بمثله مركباً أعجز، فلا يفكر أحدهم أو يخطر بباله محاولة الإتيان بمثله.

وعلم الغيب ليس لأحد من البشر ولا يدركون منه شيئاً إلا على سبيل التخمين لا على سبيل القطع والجزم. أما أن يأتي كتاب يحمل أخباراً غيبية، ويقطع بوقوعها ثم تقع كما أخبر فهذا من خصائص القرآن الكريم. وهناك آيات كثيرة كشفت أحداثاً في حينها لم يحضرها الرسول ﷺ، ولم يخبره بها أحد من أصحابه.

وفي سورة التوبة من هذا النوع كثير، فقد وردت آيات تكشف حال المنافقين وما يخفونه بينهم أو في صدورهم:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [سورة البقرة:٢٠٤]،

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ﴾ [التوبة:٧٤].

ولاشتهار هذا بين المنافقين والكفار فإنهم يتنادون فيما بينهم أن اخفضوا أصواتكم حتى لا يسمعكم إله محمد، ووصف الله المنافقين بقوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة التوبة:٦٤]. يقولون ذلك لما شاهدوا من أخبار الغيب التي يجيء بها القرآن الكريم.

ومن الأمثلة على غيوب أخبر بها القرآن قبل وقوعها ثم وقعت:

١- انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم من قبَلهم أول الأمر.

قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [سورة الروم٢-٤]. وكلمة "بضع" في اللغة تدل على ما بين ثلاث وتسع، وقد جاء انتصار الروم على الفرس بعد سبع سنين من نزول الآية.

٢- وعد الله سبحانه للرسول ﷺ وأصحابه بدخول مكة.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧]، ثم وقع هذا الحادث كما أخبر الله تعالى.

٣- قوله تعالى مخاطباً نبيه محمد ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة المائدة:٦٧]، فلم يستطع أحد أن يصل إلى الرسول ﷺ بقتل مع كثرة المتربصين له، بل وكثرة المحاولات لذلك.

٤- ما جاء من بيان القرآن أن الله قد كتب للإسلام البقاء والخلود وحفظ القرآن.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد:١٧].

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...﴾ [سورة إبراهيم:٢٤-٢٥].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩].

ويظهر ذلك ويستبين إذا علمت أن هذه الآيات نزلت في مكة في وقت كان المشركون متكالبين على الرسول صلى الله وسلم وأصحابه وكان المسلمون في اضطهاد وتعذيب ومع هذا جاءت هذه البشرى تحمل خبر (مكث الإسلام في الأرض) و(إيتاء أكله في كل حين) و(حفظ الله له).

وهذا لا يقوله بشر لا يعلم مصيره، ولا يضمن لنفسه حياته، فكيف يضمن بقاء هذا الدين في حياته وبعد وفاته أبد الآبدين.

٥- انتصار المسلمين في معركة "بدر"، قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [سورة القمر:٤٥].

٦. **إخباره عن عدم وقوع أشياء مستقبلا مع إمكان وقوعها عقلا، ولم تقع.**

- موت أبي لهب على الكفر، قال تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [سورة المسد:٣]. أخبر الله أن عم النبي ﷺ أبا لهب سيموت على الكفر، ولن يدخل في الإسلام، وهو أمر غيبي أوحاه الله لنبيه عليه الصلاة والسلام، وكان بإمكان أبي لهب أن يعلن إسلامه ليكذب هذا الخبر -ولو في الظاهر- لكنه لم يفعل.

- أن الوليد بن المغيرة سيصلى سقر قال الله فيه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [سورة المدثر:٢٦]. وهذا في حياته.

٧. **سمو تشريعاته وشمولها لجميع مناحي الحياة.**

الإعجاز العظيم الذي اشتمل عليه القرآن في التشريعات، والأحكام والقصص، والعقائد، الذي لا يمكن أن يصدر عن أي مخلوق مهما بلغ من العقل والفهم، فمهما حاول الناس أن يسنوا تشريعات وقوانين لتنظيم حياتهم، فلا يمكن أن تفلح ما دامت بعيدة عن توجيهات القرآن، وبقدر هذا البعد بقدر ما يكون الفشل. ففي القرآن أحكام العقائد والعبادات والمعاملات، وأحكام الأسرة، وأحكام الحرب والسلم، بل وآداب الاستئذان.

٨. **موافقته للعقول والفطر.** فليس في القرآن شيء يناقض العقل السليم ويقول العقل: ليته ما جاء به.

٩. **تأثيره العجيب على القلوب.** فلا يخلَق ويبلى عن كثرة الرد.

١٠. **تيسيره للذكر.** فهو ميسر فهمه، وميسر حفظه، وميسرة تلاوته. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [سورة القمر:٢٢].

معنى الوحي وأنواعه:

الوحي في اللغة: الإعلام السريع الخفي.

ويطلق الوحي على: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام. وكل ما ألقيته على غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان وهو لا يختص بالأنبياء ولا بكونه من عند الله تعالى باعتبار معناه اللغوي.

فالوحي بمعناه اللغوي يتناول خمسة معانٍ:

١ – الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسى. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [سورة القصص:٧].

٢ – الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [سورة النحل:٦٨].

٣ – الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا لقومه، قال تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم:١١].

٤ – وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [سورة الأنعام:١٢١].

٥– ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه. قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة الأنفال:١٢].

وأما التعريف الشرعي للوحي فهو: إعلام الله أنبياءه بما شاء بواسطة أو غير واسطة.

أنواع الوحي:

لتلقي الوحي من الله تعالى طرق بينها الله تعالى بقوله في سورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [سورة الشورى:٥١].

فأخبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب وأنواع:

١– **الوحي المجرد** وهو ما يقذفه الله في قلب الموحى إليه مما أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله. ودليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ [سورة الشورى:٥١].

[ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب"(١).

ومنه: رؤى الأنبياء في المنام. كرؤى النبي ﷺ في بداية البعثة على ما روى الشيخان من حديث عائشة ﷺ قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»]

٢ - **التكليم من وراء حجاب بلا واسطة** كما ثبت ذلك لبعض الرسل والأنبياء كتكليم الله تعالى لموسى على ما أخبر الله به في أكثر من موضع من كتابه. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء:١٦٤]. وكتكليم الله تعالى لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة.

ودليل هذه المرتبة من الآية قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

٣ - **الوحي بواسطة الملك**. ودليله قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾. وهذا كنزول جبريل عليه السلام بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله ﷻ، وبلغه جبريل لمحمد ﷺ. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة النحل:١٠٢].

ولجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا ﷺ ثلاثة أحوال:

١ - أن يراه الرسول ﷺ على صورته التي خلق عليها.

٢ - أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنه وقد وعى الرسول ﷺ ما قال.

٣ - أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي

وقد أخبر النبي ﷺ عن الحالتين الأخيرتين في إجابته للحارث بن هشام لما سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس, وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول". متفق عليه. ومعنى فصم: أي أقلع وانكشف.

---

(١) شرح السنة للبغوي (١٤/ ٣٠٤).

رابعاً: الإيمان بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام .

تعريف النبوة والرسالة:

أ–النبوة لغة:

١.مشتقة من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾ **[سورة** النبأ:١-٢]. وإنما سمى النبي نبيا لأنه مُخبَر (بفتح الباء) ومُخبِر (بكسر الباء)، فهو مُخْبَر، أي: أن الله أخبره، وأوحى إليه: ﴿**قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ **[سورة** التحريم:٣].

وهو مُخبِر عن الله تعالى أمره ووحيه: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ **[سورة** الحجر:٤٩] ﴿**وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ**﴾ **[سورة** الحجر:٥١] أي أخبرهم

٢. **وقيل: النبوة،** مشتقة من النبْوَة، وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلقه العرب على ما ارتفع من أعلام الأرض التي يهتدى بها، والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي، أن النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم.

ب– والرسالة في اللغة: مشتقة من الإرسال وهو التوجيه. قال تعالى مخبِراً عن مَلكة سبأ: "**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**" [النمل:٣٥].

وعلى ذلك فالرُّسل إنما سموا بذلك لأنهم وُجّهوا وأُرسلوا من قبل الله تعالى.

وقد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذا من قول العرب: (جاءت الإبل رَسلاً) أي: متتابعة. قال الله تعالى: : ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى**"﴾ [سورة المؤمنون:٤٤]. أي يتبع بعضهم بعضاً.

وكلا المعنيين ينطبق على الرسل؛ فهم مبعوثون برسالة معينة من الله مكلّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها، كما أن الرسل يتبع بعضهم بعضاً حتى ختموا بالمصطفى خاتم النبيين ﷺ

***تعريف النبي والرسول شرعا:** من اجتمع له أمران: وحي الله بالنبوة أو الرسالة، وتبليغ ما أوحي له.

الفرق بين النبي والرسول:

لا يصح قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبي، ويدلُّ على بطلان هذا القول ما ورد في كتاب الله من عطف النبي على الرسول كقول الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**﴾ [سورة الحج:٥٢].

ووصف بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله في حق موسى عليه السلام: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾ **[سورة** مريم:٥١].

والصحيح من أقوال أهل العلم في التفريق بين النبي والرسول: أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. فالرسالة أعلى رتبة من النبوة. والنبي هو من أرسل إلى قوم موافقين في الجملة، والرسول من أرسل إلى قوم مخالفين في الجملة.

حاجة الناس إلى الأنبياء والرسل:

الرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، وتظهر شدة الحاجة إليهم من خلال عدد من النقاط:

١- إرسال الرسل من أعظم منن الله على عباده.

فأوجب سبحانه شكرها إذ قال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [سورة البقرة:١٥١-١٥٢].

٢ -الخير كله معقود على اتباع أنبياء الله ورسله.

فلا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله. البتة. إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها.

فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير.

٣- الرسالة روح العالم ونوره وحياته.

فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [سورة الأنعام:١٢٢].

فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات.

٤ - لا قيام لهذا العالم إلا ببقاء آثار النبوة فيه.

فإذا تم انكساف شمس النبوة من العالم ولم يبق في الأرض شيء من آثارها البتة. انشقت سماؤه وانتثرت كواكبه، وكُوّرت شمسه وخُسف قمره، ونسفت جباله وزُلزلت أرضه وأهلك من عليها.

ولهذا كان كل موضع ظهرت فيه آثار النبوة فأهله أحْسَن حالا وأصْلَح بالا من الموضع الذي يخفى فيه آثارها.

٥- لا سبيل إلى معرفة أصول الدين الكبار إلا من جهة الرسل.

فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها.

٦- لولا النبوات لم يكن في العالم علم نافعٌ البتة، ولا عمل صالح.

ولا صلاح في معيشة ولا قِوامَ لمملكة إلا بالنبوات وآثارها.

ولولا النبوات لكان الناس بمنزلة البهائم والسباع العادية والكلاب الضارية التي يعدو بعضها على بعض. وكل دين وقع في العالم فمن آثار النبوة، وكل شيء وقع في العالم أو سيقع فبسبب خفاء آثار النبوة ودروسها.

٧- الخلق بحاجة إلى قدوة حسنة في معاشهم. وحاملو النبوات قدوة حسنة للخلق.

الحكمة من إرسال الرسل:

١- تعريف العباد بربهم. وهذه الوظيفة تتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر.

٢- تعريف العباد بالطريق الموصل إلى الله. وهذه تتضمن تفصيل الشرائع والأوامر والنواهي، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه.

٣- تعريف العباد بحالهم بعد وصولهم إلى الله.

وهذه تتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار والثواب والعقاب. ولا سبيل إلى معرفة هذه الأصول إلا بواسطة الرسل.

معتقد أهل السنة والجماعة في النبوة:

١- **النبوة والرسالة اصطفاء من الله سبحانه،** يختص الله بها من يشاء من خلقه، ولا تنال بالاجتهاد والعمل. قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [سورة الحج:٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ [سورة الأنعام:٨٣] إلى أن قال بعد ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والمرسلين: ﴿**وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأنعام:٨٦].

وفيه الرد على الفلاسفة الذين زعموا أن النبوة تنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد، ورياضة النفس والبدن.

٢- أن الله يصطفي لهذه الرتبة العالية خيار الناس.

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ **[سورة** الأنعام:١٢٤].

وفيه الرد على من قال بأنه يمكن أن يرسل الله من كان فاسقا فاجرًا.

٣- الأنبياء أفضل البشر.

قال ﷺ لما سئل عن أشد الناس بلاء قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل وهذا صريح في أن الأنبياء أمثل البشر وأفضلهم ".

وقال ﷺ في أبي بكر وعمر: "هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين" وفي هذا الاستثناء الدليل على أن الأنبياء أفضل الأولين والآخرين.

أما الإجماع: فقد قال ابن تيمية رحمه الله: (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء).

***حكم الإيمان بالرسل:**

١. الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان.

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ...﴾ [سورة البقرة:٢٨٥].

٢. وجوب الإيمان بجميع الرسل من غير تفريق بينهم

من لم يؤمن بالرسل ضل ضلالا بعيدا لأنه كافر؛قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء:١٣٦].

٣. من لم يؤمن بالرسل لم يقدر الله حق قدره

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام:٩١]. فالذين يقدرون الله حق قدره ويعلمون صفاته التي اتصف بها من العلم والحكمة والرحمة لا بد أن يوقنوا بأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب، لأن هذا مقتضى صفاته، فهو لم يخلق الخلق عبثا.

٤–الكفر برسول واحد كفر بالرسل جميعا.

فالإيمان برسل الله ﷺ متلازم، من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى، وبجميع الرسل عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٠٥] وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٢٣] وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٤١]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٦٠]، ومن المعروف أن كل أمة كذبت رسولها، إلا أن التكذيب برسول واحد يعد تكذيبا بالرسل كلهم، وذلك لأن:

١. الرسل حملة رسالة واحدة، ودعاة دين واحد، اتفقوا على أصول اعتقادية وعملية واحدة.
٢. مرسلهم واحد، وهو الله تعالى.
٣. يبشر المتقدم منهم بالمتأخر، ويصدق المتأخر المتقدم

وقد مدح الله رسول هذه الأمة والمؤمنين الذين تابعوه لإيمانهم بالرسل كلهم، ولعدم تفريقهم بينهم، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥].

ووعد الله الذين لم يفرقوا بين الرسل بالمثوبة والأجر الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء:١٥٢]

وقد ذم الله أهل الكتاب لإيمانهم ببعض وكفرهم ببعض: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [سورة البقرة:٩١]

فاليهود لا يؤمنون بعيسى ولا بمحمد، والنصارى لا يؤمنون بمحمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ*فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران:٨١-٨٢].

وظائف الرسل

١-**البلاغ المبين:** قال ﷺ: " إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وأن ينذرهم شر ما يعلمه لهم ".

فهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا حرفا ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه

٢-**البشارة والنذارة.** قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [سورة الأنعام:٤٨].

٣-**تزكية النفوس.** الله رحيم بعباده، ومن رحمته أن يحيي نفوسهم بوحيه، وينيرها بنوره، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [سورة الشورى:٥٢]

والله يخرج الناس بهذا الوحي الإلهي من الظلمات إلى النور، ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام والحق: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [سورة البقرة:٢٥٧] وقد أرسل الله رسله بهديه ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [سورة إبراهيم:٥].

٤-**تصحيح العقائد المنحرفة.**

٥-**إقامة الحجة.**

لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى، فالله ﷻ أرسل الرسل وأنزل الكتب كي لا يبقى للناس حجة في يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء:١٦٥].

٦-**الحكم بين الناس.**

الذين يستجيبون للرسل يكونون جماعة وأمة، وهؤلاء يحتاجون إلى من يسوسهم ويقودهم ويدبر أمورهم، والرسل يقومون بهذه المهمة في حال حياتهم، فهم يحكمون بين الناس بحكم الله كما قال ﷻ لنبيه: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [سورة المائدة:٤٨]. وقال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأنبياء بني إسرائيل كانوا يحكمون بني إسرائيل بكتبهم قال ﷻ عن التوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [سورة المائدة:٤٤] وفي الحديث: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي".

كيفية الإيمان بالرسل:

مما يتضمنه الإيمان بالرسل ما يأتي:

١- الإيمان بهم جملة، والإيمان بمن علمنا منهم تفصيلا

فيجب الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص، وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [سورة النساء:١٦٤].

٢-اعتقاد ما جاء عنهم من أخبار في الكتاب والسنة.

٣-تصديقهم جميعا فيما جاءوا به، وأنهم مرسلون من ربهم، وعدم التفريق بينهم في ذلك.

٤-موالاتهم جميعا ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة:٧١]. فتضمنت الآية وصف المؤمنين بموالاة بعضهم لبعض فدخل في ذلك رسل الله الذين هم أكمل المؤمنين إيمانا، وعليه فإن موالاتهم ومحبتهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق لعلو مكانتهم في الدين ورفعة درجاتهم في الإيمان. ولذا حذر الله من معاداة رسله، وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته، وقرن بينهما في العقوبة

والجزاء. فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٩٨].

٥-اعتقاد أنهم جميعا فاضلون وأنهم أفضل البشر، وأن جميعهم صادقون مصدقون بارُّون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين. فيجب اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى، فمنزلة الرسل لا يبلغها أحد من الخلق، قال ﷺ: (من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب).

٦-اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم.

٧-اعتقاد أنهم بلّغوا البلاغ المبين. فيجب الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانا لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

٨-اعتقاد أنهم بشر فضّلهم الله بالرسالة.

٩-الصلاة والسلام عليهم. فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائه الثناء الحسن على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم. قال تعالى عن نوح: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الصافات: ٧٨، ٧٩]. وهكذا قال عن طائفة من أنبيائه عليهم السلام، وقال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات:١٨١].

وقد نقل الإمام النووي إجماع العلماء على مشروعية الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابها. قال: (وأجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ، وكذلك أجمع من يعتد به على جوازها – يعني مشروعيتها- على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا).

١٠-اتباع خاتمهم وإمامهم وسيدهم محمد ﷺ. فالإيمان بالرسل إيمان مجمل، والإيمان بنبينا محمد ﷺ إيمان مفصل يقتضي ذلك منهم اتباعه فيما جاء به على وجه التفصيل. فلا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحد من الرسل السابقين بعد مبعث محمد ﷺ المبعوث للناس كافة، إذ إن شريعته جاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله، فلا دين إلا ما بعثه الله به ولا متابعة إلا لهذا النبي الكريم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:٨٥].

***عدد الأنبياء والرسل:**

الأنبياء والرسل جمّ غفير. والمذكور من أسمائهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون رسولا ونبيا، وهم: ١-أبو البشر آدم، ٢-إدريس، ٣-نوح، ٤-هود، ٥-صالح، ٦-إبراهيم، ٧-لوط، ٨-إسماعيل، ٩-إسحاق، ١٠-يعقوب، ١١-يوسف، ١٢-شعيب، ١٣-أيوب، ١٤-ذو الكفل، ١٥-موسى، ١٦-هارون، ١٧-داود، ١٨-سليمان، ١٩-إلياس، ٢٠-اليسع، ٢١-يونس، ٢٢-زكريا، ٢٣-يحيى، ٢٤-عيسى، ٢٥-ونبينا محمد خاتم الأنبياء والرسل؛ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

منزلة الرسل وأنهم أفضل الخلق:

١-جعل الله الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم.

٢-هم الأمناء العدول الصادقون، الذين بلّغوا وحي الله البلاغ المبين.

٣-هم حجة الله على خلقه وشهداؤه عليهم يوم القيامة. والعقل يقضي بكون الأنبياء خير الخلق وأفضلهم، لأنهم رسل الله، والواسطة بينه وبين خلقه في تبليغهم شرعه ومراده من عباده، وشرف الرسول من شرف المرسل وشرف الرسالة، وهم المصطفون من عباد الله، اصطفاهم الله واختارهم واجتباهم ولا يختار سبحانه من الخلق إلا أكرمهم عليه وأفضلهم عنده وأكملهم لديه، قال ابن القيم رحمه الله: (ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه، وجعلهم أمناء على رسالته، وواسطة بينه وبين عباده، وخصهم بأنواع كراماته، فمنهم من اتخذه خليلا، ومنهم من كلمه تكليما، ومنهم من رفعه مكانا عليا على سائرهم درجات، ولم يجعل لعباده وصولا إليه إلا من طريقهم، ولا دخولا إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحدا منهم بكرامة إلا على أيديهم، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم، وبهم عرف الله، وبهم عبد وأطيع، وبهم حصلت محابه تعالى في الأرض)[1].

٤- وهم أعلى منازل الخلق في تحقيق العبودية لله عز وجل، ولقد حقق الأنبياء عبوديتهم لله فكانوا عباد الله المخلصين.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٥٠).

وثمة أمران ظاهرا الدلالة في أفضلية الأنبياء على البشر وهما:

أولا: أن الأنبياء كانوا خيار أقوامهم قبل نبواتهم فقد عصمهم الله عما يصغر أقدارهم.

ثانيا: أن النبوة اختيار من الله واصطفاء لا تبلغ بكسب ولا بغيره، فجمع الله للأنبياء الفضل من أطرافه، ميزهم على خلقه من قبل النبوة، ثم زادهم فضلا عليهم بالنبوة، فلا يبلغ أحد منزلتهم.

من خصائص الرسل:

١- الوحي. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [سورة الكهف:١١٠]. فلا وحي إلا للأنبياء فقط، وقد انقطع الوحي بموت النبي ﷺ.

٢- تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. فعن أنس ﷺ في حديث الإسراء: "... **والنبي نائمة عيناه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعنيهم ولا تنام قلوبهم** " رواه البخاري.

٣- تخيير الأنبياء عند الموت. فعن عائشة – ﷺ – قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **ما من نبيّ يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة** ".

٤- لا يقبر نبيّ إلا حيث يموت، ففي الحديث: " **لم يقبر نبيّ إلا حيث يموت** ".

٥- لا تأكل الأرض أجسادهم. ففي الحديث: " **إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** "، وهذا من إكرام الله لأنبيائه ورسله أنّ الأرض لا تأكل أجسادهم، فمهما طال الزمان وتقادم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البلى.

٦- أحياء في قبورهم، وهي حياة برزخية خاصة تختلف عن حياة الدنيا.

قال ﷺ: "**مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلّي في قبره**".

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ في قصة الإسراء: " **وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي...، وإذا إبراهيم قائم يصلّي** ".

٧- العصمة مما عُصِموا منه. وسيأتي تفصيل ذلك قريباً.

التفاضل بين الأنبياء والرسل:

– الرسول أفضل من النبي إجماعا لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة.

ومن أوجه فضل الرسل على الأنبياء:

– أنّ الرسالة في أصلها قدر زائد على النبوة فهي نبوة وزيادة، فالرسل ساووا الأنبياء في النبوة، وفضلوا عليهم بالرسالة — صلوات الله وسلامه على الجميع.

– ما يلقاه الرسل دون الأنبياء من المنازعة مع أقوامهم.

– الرسالة تثمر هداية الكافرين وإزالة الشرك، وأما النبوة فتثمر توجيه المؤمنين وصيانة أحكام الله فيهم، ولا شكّ أن هداية الكافر، خير من تعليم المؤمن، وفي كلٍّ خير.

***التفاضل بين الرسل:**

قال ﷻ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [سورة البقرة:٢٥٣]

وأفضل الرسل أولوا العزم منهم، قال ﷻ آمرا نبيّه محمدا ﷺ وهو أفضل الخلق: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥].

فامتدحهم الله ﷻ بالعزم، وخصّهم بالذكر من بين رسله، وأمر نبيّه محمدا ﷺ وقد فضّله على جميع خلقه أن يقتدي بهم.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (**أفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم**). وقال ابن كثير رحمه الله: (**لا خلاف أنّ الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم**).

أولو العزم

خمسة وهم: محمد، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وهم الخمسة المذكورون نصا في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب:٧]

ونبينا محمد ﷺ هو أفضل أولي العزم بلا خلاف، يقول ابن كثير: (ولا خلاف أن محمدا ﷺ أفضلهم، ثم بعده إبراهيم، ثم موسى، على المشهور).

قال ﷺ: " **أنا سيد ولد آدم ولا فخر** ". فالنص دال على تفضيل نبينا محمد ﷺ، والإجماع منعقد عليه.

وكذا دل النص على أن إبراهيم عليه السلام يليه في التفضيل لحديث أنس قال: (**قال رجل لرسول الله ﷺ: يا خير البرية. فقال رسول الله ﷺ: "ذاك إبراهيم**").

خصّ من هذا التفضيل نبينا محمد ﷺ بالإجماع.

ومن أوجه تفضيله ﷺ على الأنبياء: أنّ الله بعثه إلى الناس كافة، وشريعته أكمل الشرائع، وهو أعظم الناس أمّة، وختم الله به النبوات، إلى غير ذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلام فهو أكثر الأنبياء آيات، ولقد أجمعت الأمّة على أنّه ﷺ أفضل الخلق.

عصمة الأنبياء والرسل:

١- الرسل في تحملهم الرسالة: معصومون اتفاقا:

اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة، فلا ينسون شيئا مما أوحاه الله إليهم إلّا شيئا قد نسخ، وقد تكفل الله لرسوله ﷺ بأن يقرئه فلا ينسى شيئا ممّا أوحاه إليه، إلّا شيئا أراد الله أن ينسيه إيّاه. قال الله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة الأعلى: ٦، ٧]

٢- الرسل في التبليغ: معصومون اتفاقا:

فالرسل لا يكتمون شيئا ممّا أوحاه الله إليهم، ذلك أن الكتمان خيانة، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ **[سورة المائدة:٦٧]**

ولو حدث شيء من الكتمان أو التغيير لما أوحاه الله، فإنّ عقاب الله يحلّ بذلك الكاتم المغيّر، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [سورة الحاقة:٤٤-٤٦].

وبهذا يحصل المقصود من الرسالة والوحي وهذا جانب محفوظ ومعصوم قطعا.

٣- الرسل في الكبائر: معصومون في قول جمهور العلماء وأكثر المسلمين:

بل حكي الإجماع على هذا، وهو قول أهل السنة، ولم ينقل عن السلف خلافه، وهذا هو اللائق بهم؛ فإن لهم من الشرف والمنزلة والاصطفاء ما يقتضي طهارتهم من الكبائر، ولم ينقل نقل صحيح بإقدام نبيّ على ارتكاب كبيرة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٤- معصومون من سفاسف الأخلاق ورذائلها وصغائر الخسة، وهي الذنوب التي تزري بمنزلة فاعلها وتوجب الحكم عليه بالخسة والدناءة وسقوط المروءة:

فهذه معصومون منها بالإجماع؛ ولذلك كانوا أفضل أقوامهم قبل البعثة.

٥- وأما الصغائر الأخرى: فليسوا معصومين في قول جمهور العلماء:

بل نقل شيخ الإسلام اتفاق السلف عليه.

ولكن إذا وقعت منهم فإنهم لا يقرون عليها، بل ينبههم الله ﷻ عليها فيبادرون بالتوبة منها.

والدليل على جواز وقوع الصغائر منهم مع عدم إقرارهم عليها: - قوله تعالى عن آدم: ﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى*ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [سورة طه:١٢١-١٢٢]، وهذا دليل على وقوع المعصية من آدم -عليه الصلاة والسلام-، وعدم إقراره عليها، مع توبته إلى الله منها.

والقول بجواز وقوع الصغائر منهم عليهم الصلاة والسلام مقيد بقيود:

١- أنهم معصومون من الإقرار على الذنوب مطلقا، فلا يمكن أن يقرهم الله على ذنب وقعوا فيه، بل ينبههم، وهم يبادرون بالتوبة دون تأخير.

٢- أنهم وإن وقع منهم شيء فهو لم قليل جدا، ولا يتكرر ولا يكثر.

٣- أن ذنوبهم ليست كذنوب غيرهم، بل ربّما لو وقعت من غيرهم لا تعتبر ذنبا في حقه، وربما وقعت منهم بنوع تأويل، وإنما اعتبرت في حقهم ذنبا لعظيم مكانتهم ومنزلتهم.

* **وفي ختام هذا الموضوع يجب أن ينتبه المسلم إلى أنه لا يجوز بحال إضافة الصغائر إلى الرسل على سبيل الانتقاص لهم**، بل شأن المسلم أن يسلك سبيل الأدب والاحترام ورعاية حرمتهم وعظيم مكانتهم، وأن يكون همّه مصروفا إلى تأمّل حكمة الوقوع وما يعود عليه منها فهذه هي الثمرة المستفادة من هذا الموضوع كما قال الحسن البصري رحمه الله: (إنّ الله لم يذكر معاصي الأنبياء ليعيرهم بها، ولكنه ذكرها لكيلا تيأسوا من التوبة)[١].

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٦٧).

والسبب في عصمة الأنبياء مما عصموا منه وعدم عصمتهم مما لم يعصموا منه: الرسل والأنبياء بشر من البشر، عصمهم الله في تحمل الرسالة وتبليغها، فلا ينسون شيئا، ولا ينقصون شيئا، وبذلك يصل الوحي الذي أنزله الله إلى الذين أرسلوا إليهم كاملا وافيا، كما أراده الله ﷻ، وهذه العصمة لا تلازمهم في كل أمورهم فقد تقع منهم المخالفة الصغيرة، بحكم كونهم بشرا، ولكنّ رحمة الله تتداركهم، فينبههم الله إلى خطئهم، ويوفقهم للتوبة والإنابة إليه. فهم يمتازون عن سائر البشر بأن الله لا يقرهم على الخطأ بعد صدوره، بل ينبههم ويوفقهم للتوبة وترتفع درجتهم.

أدلة صدق الرسل، ويطلق عليها دلائل النبوة:

دلائل النبوة هي الأدلة التي تعرف بها نبوة النبي الصادق، ويعرف بها كذب المدعي للنبوة من المتنبئين الكذبة، لأن هذا موضوع مهم جداً.

ودلائل النبوة كثيرة ومتنوعة وغير محصورة

١)- فمنها: المعجزة، وهي في اللغة: اسم فاعل من العجز المقابل للمقدرة.

قال الفيروز آبادي: (معجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء فيها للمبالغة)[١].

والمعجزة اصطلاحاً: أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد من يختاره لنبوته، ليدل على صدقه وصحة رسالته.

ومعجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام كثيرة؛ منها: الناقة التي أوتيها صالح عليه السلام حجة على قومه، وقلب العصا حية آية لموسى عليه السلام، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى آية لعيسى عليه السلام، ومنها معجزات نبينا محمد ﷺ، وهي كثيرة، أعظمها القرآن الكريم، وهي المعجزة الخالدة، التي تحدى الله بها الجن والإنس، ومنها الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وتسبيح الحصا في كفه عليه الصلاة والسلام، وحنين الجذع إليه، وإخباره عن حوادث المستقبل والماضي.

ودلائل النبوة ليست محصورة في المعجزة كما يقوله المتكلمون، بل هي كثيرة متنوعة.

---

(١) القاموس المحيط (ص: ٥١٦).

٢)- ومن أدلة صدق الرسل أيضا: إخبارهم الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم وبقاء العاقبة لهم، فوقع كما أخبروا، ولم يتخلف منه شيء، كما حصل لنوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مما قصه الله في كتابه.

٣)- ومنها: أن ما جاؤوا به من الشرائع والأخبار في غاية الإحكام والإتقان وكشف الحقائق وهدي الخلق؛ مما يعلم بالضرورة أن مثله لا يصدر إلا عن أعلم الناس وأبرهم وأن الله أوحاه إليهم.

٤)- ومنها: أن الله يؤيدهم تأييداً مستمراً، وقد علم من سنته – سبحانه – أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما يؤيد به الصادق، بل لا بد أن يفتضح الكذاب، وقد يمهله الله ثم يهلكه.

٥)- ومنها: أن طريقتهم واحدة فيما يأمرون به من عبادة الله، والعمل بطاعته، والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسل؛ فلا يمكن خروج واحد منهم عما اتفقوا عليه؛ فهم يصدق متأخرهم متقدمهم، ويبشر متقدمهم بمتأخرهم، كما بشر المسيح ومن قبله بمحمد ﷺ، وكما صدق محمد ﷺ جميع النبيين قبله.

والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة؛ فكيف بدعوى النبوة؟! ومعلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكمله، وإما أن يكون من أنقص الخلق.

وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ولا بد أن يفعل أموراً، والكاذب يظهر من نفس ما يأمر به ويخبر عنه ويفعل ما يظهر به كذبه من وجوه كثيرة.

هذا، وربما يسأل سائل عن الفرق بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان.

والجواب: أن **هناك فوارق كثيرة بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان:**

١)- منها: أن أخبار الأنبياء لا يقع فيها تخلف ولا غلط؛ بخلاف أخبار الكهنة والمنجمين؛ فالغالب عليها الكذب، وإن صدقوا أحيانا في بعض الأشياء؛ بسبب ما يحصل عليه الكهان من استراق شياطينهم للسمع.

٢)- ومنها: أن السحر والكهانة والاختراع أمور معتادة معروفة، ينالها الإنسان بكسبه وتعلمه؛ فهي لا تخرج عن كونها مقدورة للجن والإنس، ويمكن معارضتها بمثلها؛ بخلاف آيات الأنبياء؛ فإنها لا يقدر عليها جن ولا إنس؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنس والجن عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثلِ هَذَا

الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظهيراً﴾؛ فآيات الأنبياء لا يقدر عليها الخلق، بل الله هو الذي يفعلها آية وعلامة على صدقهم؛ كانشقاق القمر، وقلب العصا حية حقيقة، وتسبيح الحصا بصوت يسمع، وحنين الجذع، وتكثير الماء والطعام القليل؛ فهذه لا يقدر عليها إلا الله.

٣)- ومنها: أن الأنبياء مؤمنون مسلمون، يعبدون الله وحده بما أمر، ويصدقون جميع ما جاءت به الأنبياء، وأما السحرة والكهان والمتنبئون الكذبة؛ فلا يكونون إلا مشركين مكذبين ببعض ما أنزل الله.

٤)- ومنها: أن الفطر والعقول توافق ما جاء به الأنبياء عليهم السلام، وأما السحرة والكهان والدجالون والكذابون؛ فإنهم يخالفون الأدلة السمعية والعقلية والفطرية.

٥)- ومنها: أن الأنبياء جاؤوا بما يكمل الفطر والعقول، وأما السحرة والكهان والكذبة فجاءوا -ويجيئون- بما يفسد العقول والفطر.

٦)- ومنها: أن معجزات الأنبياء لا تحصل بأفعالهم،هم وإنما يفعلها الله -ﷻ - آية وعلامة لهم؛ كانشقاق القمر، وقلب العصا حية، والإتيان بالقرآن، والإخبار بالغيب الذي يختص الله به؛ فأمر الآيات إلى الله، لا إلى اختيار المخلوق؛ كما قال الله لنبيه عندما طلبوا منه أن يأتي بآية؛ قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، وأما خوارق السحرة والكهان والمخترعات الصناعية؛ فإنها تحصل بأفعال الخلق.

والفوارق بين آيات الأنبياء وخوارق الكهان كثيرة واضحة، ومن أراد المزيد؛ فليراجع كتاب (النبوات) لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحد:

إن دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دين واحد، وإن تنوعت شرائعهم:

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى:١٣] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [سورة المؤمنون:٥١]. وقال النبي ﷺ: "إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، والأنبياء أخوة لعلات".

ودين الأنبياء هو دين الإسلام، الذي لا يقبل الله غيره، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.

قال تعالى عن نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس:٧٢].

وقال عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة:١٣١].

وقال عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس:٨٤].

وقال عن المسيح: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة:١١١].

وقد قال تعالى فيمن تقدم من الأنبياء وعن التوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [سورة المائدة:٤٤].

وقال تعالى عن ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل:٤٤].

فالإسلام هو دين الأنبياء جميعا، وهو الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره؛ كان مشركا، ومن لم يستسلم له؛ كان مستكبرًا، وكل من المشرك والمستكبر عن عبادة الله كافر.

والاستسلام لله يتضمن عبادته وحده، وأن يطاع وحده، وذلك بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت، فإذا أمر في أول الإسلام بأن يستقبل بيت المقدس، ثم أمر بعد ذلك باستقبال الكعبة؛ كان كل من الفعلين – حين أمر به – داخلاً في الإسلام؛ فالدين هو الطاعة، وكل من الفعلين عبادة لله، وإنما تنوع بعض صور الفعل، وهو توجه المصلي؛ فكذلك الرسل دينهم واحد، وإن تنوعت الشرعة والمنهاج والوجه والمنسك؛ فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحداً؛ كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد؛ كما مثلنا باستقبال بيت المقدس أولاً ثم استقبال الكعبة ثانيا في شريعة محمد ﷺ.

فدين الأنبياء واحد، وإن تنوعت شرائعهم؛ فقد يشرع الله في وقت أمرًا لحكمة، ثم يشرع في وقت آخر أمرًا لحكمة، فالعمل بالمنسوخ قبل نسخه طاعة لله، وبعد النسخ يجب العمل بالناسخ، فمن تمسك بالمنسوخ وترك الناسخ؛ ليس هو على دين الإسلام، ولا هو متبع لأحد من الأنبياء، ولهذا كفر اليهود والنصارى؛ لأنهم تمسكوا بشرع مبدل منسوخ.

والله تعالى يشرع لكل أمه ما يناسب حالها ووقتها، ويكون كفيلاً بإصلاحها، متضمنا لمصالحها، ثم ينسخ الله ما يشاء من تلك الشرائع لانتهاء أجلها، إلى أن بعث نبيه محمدًا خاتم النبيين

إلى جميع الناس على وجه الأرض وعلى امتداد الزمن إلى يوم القيامة، وشرع له شريعة شاملة صالحة لكل زمان ومكان؛ لا تبدل ولا تنسخ؛ فلا يسع جميع أهل الأرض إلا إتباعه والإيمان به ﷺ: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سورة سبأ:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿ينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة الأحزاب:٤٠].

والآيات التي أنزلها الله – سبحانه – على رسوله محمد ﷺ فيها خطاب لجميع الخلق الجن والإنس، وعلى اختلاف أجناسهم، ولم يخص العرب بحكم من الأحكام، بل علق الأحكام باسم كافر ومؤمن ومسلم ومنافق وبر وفاجر ومحسن وظالم وغير ذلك من الأسماء المذكورة في القرآن والحديث؛ فليس في القرآن والحديث تخصيص العرب بحكم من الأحكام الشرعية، إنما علق الأحكام بالصفات المؤثرة فيما يحبه الله وفيما يبغضه الله، ونزول القرآن بلسان العرب إنما هو لأجل التبليغ؛ لأنه بلغ قومه أولاً، ثم بواسطتهم بلغ سائر الأمم، وأمره الله بتبليغ قومه أولاً، ثم تبليغ الأقرب فالأقرب؛ كما أمر بجهاد الأقرب فالأقرب، وليس هذا تخصيصا، وإنما هو تدرج بالتبليغ.

والمقصود أن دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحد، وهو إخلاص العبادة لله، والنهي عن الشرك والفساد، وإن تنوعت شرائعهم حسب الظروف والحاجات، إلى أن ختموا بمحمد ﷺ، الذي عمت رسالته الخلق، وامتدت إلى آخر الدنيا؛ لا تبدل ولا تغير ولا تنسخ، وهي صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان، ولا نبي بعده عليه الصلاة والسلام إلى آخر الزمان، وهو يأمر بما أمر به المرسلون من قبله من الإيمان وإخلاص العبادة لله بما شرعه من الأحكام، وهو مصدق لإخوانه المرسلين، وإخوانه المرسلون قد بشروا به، خصوصا أقرب الرسل إليه زمانا، وهو المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، حين قال لقومه: ﴿يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف:٦].

وفي الكتب السابقة من بيان صفات هذا الرسول وخصائصه ما هو من أوضح الواضحات، وإن جحده من جحده من اليهود والنصارى حسدًا وتكبرًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤٦].

وبناء على هذا تعلم أن اليهود والنصارى لم يتبعوا موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، بل هم مكذبون وكافرون بموسى وعيسى عليهما السلام فلو كانوا متبعين لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، لآمنوا بنبينا محمد ﷺ لأن موسى وعيسى قد بشروا به وأمروا باتباعه ﷺ ولأن شريعة نبينا ناسخة للشرائع السابقة.

وتعلم أيضا أنه لا يوجد دين سماوي الآن إلا دين الإسلام فقط، وأما اليهودية والنصرانية فهي أديان محرفة مبدلة منسوخة وليست هي التي أنزلها الله على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام .

من ثمرات الإيمان بالرسل:

أولا: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام، للهداية والإرشاد.

ثانياً: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

ثالثاً: محبة الرسل، وتوقيرهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، قاموا الله بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده، والصبر على أذاهم.

معنى شهادة أن محمدا رسول اللّه:

أن تشهد عن علم ويقين، وصدق أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله حقًا إلى جميع الثقلين جنهم وإنسهم، وأنه خاتم الأنبياء ليس بعده نبي عليه الصلاة والسلام .

هذا هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله.

وأما مقتضى شهادةِ أن محمدًا رسولُ الله فطاعتُه فيما أمر، وتصديقُه فيما أخبر، واجتنابُ ما نهى عنه وزَجَر، وألاَّ يُعبَدَ اللهُ إلا بما شرع.

فمعناها راجع إلى العلم والإقرار، ومقتضاها راجع إلى العمل والانقياد.

وقد يعبّر بعض أهل العلم بمقتضاها عن معناها وهما متقاربان، والخطْب يسير.

فلابد للمسلم من معرفة معنى هذه الشهادة والعمل بمقتضاها، وتحقيقِ أركانها؛ لأن مَن يَشهَدُ برسالة محمد ﷺ، ثم لا يُبالي بأمره ونهيِه، أو يتعبَّد اللهَ بغير شريعته – غيرُ صادق في شهادته، قال ﷺ: "مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله"، وقال ﷺ: "مَن أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ" رواه البخاري ومسلم.

خصائص رسالة نبينا محمد ﷺ

لقد خص الله ﷻ رسالة نبينا محمدٍ ﷺ بكثير من الخصائص، ومنها:

١)- عموم رسالته لكافة الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحدا منهم إلا اتباعه والإيمان برسالته. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ:٢٨]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان:١].

وقال رسول الله ﷺ: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، **وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة**، وأعطيت الشفاعة " متفق عليه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

وفي الحديث الصحيح أيضاً: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

٢)- أن الله ختم برسالته الرسالات قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النبيين﴾ [سورة الأحزاب:٤٠].

وهذه النصوص دلت على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ، وأجمعت الأمة سلفا وخلفًا على هذه العقيدة، كما أجمعت على تكفير من ادعى النبوة بعده ﷺ، ووجوب قتل مدعيها إن أصر على ذلك.

٣)- أن الله أيده بأعظم معجزة وأظهر آية وهو القرآن العظيم، كلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل، الباقي في الأمة إلى أن يأذن الله برفعه إليه. قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء:٨٨].

٤)- نسخ رسالته لجميع الرسالات، والشرائع السابقة: يقول ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة المائدة:٤٨]، ويقول رسول الله ﷺ: "... لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني".

٥)- يسرها وسهولتها: يقول ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج:٧٨].

ولقد رفع الله ﷻ عنها الإصر والأغلال التي كانت على الأمم السابقة.

وهناك خصائص أخرى اختص بها رسول الله ﷺ عن سائر الأنبياء:

١)- أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة. عن معاوية بن حيدة القشيري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١١٠] قال: "إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله".

٢)- أنه سيد ولد آدم يوم القيامة. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع".

٣)- أنه صاحب الشفاعة العظمى وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [سورة الإسراء:٧٩].

وقد فسر المقام المحمود بالشفاعة جمع من الصحابة والتابعين.

٤)- أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامة، ويكون الناس تبعا له وتحت رايته واختص به لأنه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره. ذكر هذا بعض أهل العلم. وقد دلت السنة على اختصاصه بهذه الفضيلة العظيمة. فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ".

٥)- أنه صاحب الوسيلة، وهي درجة عالية في الجنة، لا تكون إلا لعبد واحد، وهي أعلى درجات الجنة. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة ".

إلى غير ذلك من خصائصه ومناقبه ﷺ، الدالة على علو درجته عند ربه، وسمو مكانته في الدنيا والآخرة، وهي كثيرة جدا.

ومنها قول النبي ﷺ: " فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون".

حقوق النبي ﷺ على أمته:

حقوق النبي ﷺ على أمته كثيرة، وفيما يلي عرض لبعض حقوقه الخاصة على أمته:

١)- الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة. ومقتضى ذلك: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [سورة التغابن:٨]

٢)- وجوب الإيمان بأن الرسول ﷺ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣]. وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: "وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء".

٣)- محبته ﷺ وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق.

والمحبة وإن كانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا ﷺ مزيد اختصاص بها، ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبناء والآباء وسائر الأقارب، بل مقدمة على محبة المرء لنفسه. ففي الصحيحين من حديث أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ".

٤)- تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله. فإن هذا من حقوق النبي ﷺ التي أوجبها الله في كتابه، قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [سورة الفتح:٩].

وقد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثال في تعظيم النبي ﷺ. قال أسامة بن شريك: (أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير).

وتعظيم النبي ﷺ واجب بعد موته كتعظيمه في حياته.

قال القاضي عياض رحمه الله: (واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته).

٥)- والصلاة والتسليم على النبي ﷺ والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٦].

٦)- الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية والدرجات العالية الرفيعة. والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليل عند ربه ﷻ.

٧)- تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له ﷺ. قال تعالى آمرا نبيه ﷺ أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:١١٠].

٨)- ومن حقوق النبي ﷺ محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله ألا يجعل في قلوبهم غلا لهم. فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَل فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر:١٠].

٩) ومن حقوق النبي ﷺ متابعته والتمسك بسنته ﷺ.

وبحسب متابعة الرسول تكون العزّة والكفاية والنصرة، كما أنَّه بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة؛ فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجَعَلَ شقاوة الدارين في مخالفته؛ فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (والرُّسُل. صلوات الله وسلامه عليهم. عليهم البلاغ المبين، وقد بلغوا البلاغ المبين، وخاتم الرُّسُل محمد ﷺ أنزل الله كتابه مصدِّقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه؛ فهو الأمين على جميع الكتب، وقد بلغ أبين البلاغ وأتمه وأكمله، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتَّى أتاه اليقينُ؛ فَأَسْعَدُ الخَلْقِ وأعظمُهم نعيما وأعلاهم درجةً أعظمُهم اتباعًا وموافقةً له علمًا وعملاً) (١).

(١) مجموع الفتاوى ٤/٢٦.

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو فضل عظيم(١).

دلائل نبوة النبي ﷺ كثيرة، وهي ترجع إلى أنواع:

أولا: الدلائل والبراهين الحسية (المعجزات).

١-انشقاق القمر:

قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [سورة القمر:١].

وفي الصحيحين عن أنس ﷺ قال: (سأل أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر)، وعن ابن مسعود ﷺ قال: (انشقَّ القمر على عهد النبي ﷺ، فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: "اشهدوا" ثم رجع مرة أخرى والْتأم).

٢- حنين الجذع:

كما في الصحيح عن جابر بن عبدالله ﷺ: أن النبي ﷺ كان يقوم إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا؟ قال: "إن شئتم"، فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصَّبيّ، ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه تئن أنين الصبي الذي يسكن قال: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها)، وفي رواية: (قال: فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا من ذلك الجذع صوتا كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت).

٣- تسبيح الطعام وتكثير القليل بإذن الله ﷻ، ونبع الماء من أصابعه الشريف ﷺ.

عن ابن مسعود ﷺ قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء فقال: "اطلبوا فضلة من ماء"، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: "حيَّ على الطهور المبارك والبركة من

(١) ينظر: زاد المعاد لابن القيم (١/ ٦٩).

الله "، فلقد رأيت الماءَ ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) (١).

وعن أنس ﷺ قال: (أُتي النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من أصابعه فتوضأ القوم، قال وكانوا ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: (عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يده ركوة فتوضأ، فجهش أناس نحوه فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة).أي ألفاً وخمسمائة مائة صحابي – ولعل ذلك بجبر الكسر-.

٤- كان الحجر يسلم عليه قبل النبوة – وهذا من الإرهاصات.

في الصحيحين قال ﷺ: " إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث ".قيل: المراد به الحجر الأسود، وقيل: حجر غيره.

٥- الإسراء والمعراج، ولأهمية هذه المعجزة سيتم الكلام عنها بشيء من التفصيل.

الإسراء والمعراج: تعريفهما والأدلة عليهما، ودلالتهما.

أ- الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته.

تعريف الإسراء لغة وشرعا:

الإسراء في اللغة: من السرى وهو: سير الليل أو عامته. وقيل: سير الليل كله.

ويقال: سريت، وأسريت. ومنه قول حسان:

أسرت إليك ولم تكن تسري

والإسراء إذا أطلق في الشرع يراد به: الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس بإيليا ورجوعه من ليلته.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٥٧٩).

حقيقة الإسراء وأدلته:

والإسراء آية عظيمة أيد الله بها النبي ﷺ قبل الهجرة حيث أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبا على البراق بصحبة جبريل عليه السلام حتى وصل بيت المقدس، فربط البراق بحلقة باب المسجد، ثم دخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء إماما، ثم جاءه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاختار اللبن على الخمر فقال له جبريل: هديت للفطرة. وقد دل على الإسراء الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]

ومن السنة حديث أنس بن مالك الذي أخرجه مسلم في صحيحه من طريق ثابت البناني عن النبي ﷺ قال: " أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة "[1]. ثم ذكر بقية الحديث وعروجه إلى السماء.

وقد دل على الإسراء برسول الله ﷺ عدة أحاديث منها ما جاء في الصحيحين ومنها ما جاء في السنن وغيرها وقد رواه عن رسول الله ﷺ، جمع من الصحابة نحو الثلاثين رجلا ثم تناقلها عنهم مالا يحصي عددهم إلا الله من رواة السنة وأئمة الدين.

وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين سلفا وخلفا وانعقد إجماعهم على صحة الإسراء برسول الله ﷺ وأنه حق. نقل الإجماع على ذلك القاضي عياض في (الشفاء) والسفاريني في(لوامع الأنوار).

والإسراء كان بروح النبي ﷺ وجسده، يقظة لا مناما. فهذا هو الذي دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والمحققين من أهل العلم.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: (وكان من حديث الإسراء: أنه أسري بجسده في اليقظة على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى....)

وقال القاضي عياض رحمه الله مقررا أن هذا هو الذي عليه عامة أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم: (وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٦٢).

ابن عباس وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حبة البدري، وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين، وقول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين).

وقال ابن القيم رحمه الله في نقده لقول من زعم تعدد الإسراء مرارا: (والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة.

ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا، كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا، ثم يقول: «أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»!!، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين!!ثم يحطها عشرا عشرا!!)[1].

ب- المعراج وحقيقته:

الحديث عن المعراج هو قرين الحديث عن الإسراء في النصوص وكلام أهل العلم، ولذا كان من المناسب التعريف به تتميما للفائدة.

والمعراج لغة: مفعال من العروج. أي الآلة التي يعرج فيها، أي يصعد. وهو بمنزلة السلم لكن لا نعلم كيفيته.

والمعراج في الشرع: هو صعود النبي ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام من بيت المقدس إلى السماء الدنيا ثم باقي السماوات إلى السماء السابعة ورؤية الأنبياء في السماوات على منازلهم وتسليمه عليهم وترحيبهم به، ثم صعوده إلى سدرة المنتهى، ورؤيته جبريل عندها على الصورة التي خلقه الله عليها، ثم فرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وتكليم الله له بذلك ثم نزوله إلى الأرض.

وكان المعراج ليلة الإسراء على الصحيح.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على المعراج. أما الكتاب فقد جاء فيه ذكر بعض الآيات العظيمة التي حصلت للنبي ﷺ ليلة المعراج كقوله تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)﴾ [سورة النجم:١٢-١٨]. فذكر الله تعالى في هذا السياق الآيات العظيمة التي أكرم بها رسوله ﷺ ليلة المعراج كرؤيته جبريل

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٣٨).

عليه السلام عند سدرة المنتهى، ورؤيته سدرة المنتهى وقد غشاها ما غشاها من أمر الله. قال ابن عباس ومسروق " غشيها فراش من ذهب ".

وقد جاء في السنة خبر المعراج مفصلا في أكثر من حديث منها حديث أنس المتقدم في قصة الإسراء والذي سبق نقل ما يتعلق بالإسراء منه ثم قال النبي ﷺ: " ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير". (ثم ذكر عروجه إلى السماوات وملاقاته الأنبياء إلى أن قال): " ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، إذا ثمارها كالقلال. قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله إلي ما أوحى. ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام. فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي. فقلت: يا رب خفف على أمتي. فحط عني خمسا. فرجعت إلى موسى. فقلت: حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد. إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة»..)[1] الحديث.

وقد جاء خبر المعراج بألفاظ متقاربة من حديث مالك بن صعصعة وأبي ذر وابن عباس في الصحيحين وغيرهما.

تنبيه: الإسراء والمعراج من الآيات العظيمة التي أكرم الله بها نبيه ﷺ والواجب على المسلم اعتقاد صحتهما وأنهما منقبتان عظيمتان اختص الله بهما نبينا ﷺ من بين الرسل ولا يشرع للمسلم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج كما لا تشرع لهما صلاة خاصة كما يفعله بعض عوام المسلمين، بل كل ذلك بدع منكرة لم يشرعها النبي ﷺ ولم يفعلها أحد من السلف ولم يقل بها أحد ممن يقتدي به في العلم.

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٦٢).

وقد بين العلماء من أهل السنة أن صلاة ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وأمثالها: (من البدع التي أحدثت في دين الله، وأنه عمل غير مشروع باتفاق أئمة الإسلام ولا ينشئ مثل هذا إلا جاهل مبتدع). وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1] أي مردود عليه.

ثانيا: دليل القرآن العظيم:

وهو من أعظم الأدلة على نبوة النبي ﷺ.

فالنبي ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يجالس أهل الكتاب ولم يعرف أخبارهم، وجلس على هذا مدة أربعين سنة، ثم أتى بهذا القرآن العظيم الذي فيه أعجب الكلام وأحسنه، وفيه من الإخبار بالمغيبات وأحوال الأمم السابقة الشيء الكثير، الذي يعلم منه العاقل أنه لا يأتي بمثله إلا رسول من عند الله.

قال تعالى بعد قصة نوح عليه السلام مع قومه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة هود:٤٩].

ثم إنه ﷺ تحدى الجن والإنس أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فلم يستطع أحد منهم ذلك، بل تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة منه فلم يقدروا، هذا مع كثرة الخلق وطول الزمان، وقد سمعه الموافق والمخالف والعرب والعجم، فهو معجز في جلالته وعظمته وسلطانه على القلوب، وإذا ترجم بغير العربية كانت معانيه أحسن المعاني وأتمها.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (القرآن الذي تحدى الله به أفصح الأمم وأبلغها وأقدرها على المنطق وأكثرها فيه اتساعا وأطولها فيه باعا وأكملها على أضربه وأنواعه اطلاعا، مع عظم محادتهم له ومشاقتهم فيه وشدة حرصهم على رده، وهو ينادي عليهم بأبلغ عبارة وأوجزها، وأمتنها وأجزلها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ [سورة الطور: ٣٣، ٣٤]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مثله مفتريات﴾ [سورة هود:١٤]، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ [سورة البقرة: ٢٣، ٢٤]، ثُمَّ نَادَى عَلَيْهِمْ بِالْعَجْزِ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ لَا مُجْتَمِعِينَ وَلَا مُتَفَرِّقِينَ، لَا فِي زَمَنٍ وَاحِدٍ وَلَا فِي أَزْمَانٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٧).

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [سورة الإسراء:٨٨]. وغير ذلك من الآيات. ولهذا لما أراد مسيلمة الكذاب معارضته مكابرة ومباهاته مع علمه أنه لا يقدر على شيء ألبتة فلما فعل ذلك جعل الله تعالى كلامه أسمج ما يسمع وأركّ ما ينطق به، وصار أضحوكة للصبيان في كل زمان ومكان، حتى إنه لا يشبه كلام العقلاء ولا المجانين، وصار كذبه معلوما عند كل أحد، ووسمه الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ باسم الكذاب فلا يسمى إلا به، ولا يعرف إلا به، حتى صار أشهر عليه من العلَم، بل لا علَم له غيره أبدا.

ويروى أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياما كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر ولا يطيي هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا، قلت وهذا الذي قاله الفيلسوف مقدار فهمه ومبلغ علمه، وإلا فبلاغة القرآن فوق ما يصف الواصفون، وكيف يقدر البشر أن يصفوا صفات من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[1].

ثالثا: دليل الأحوال:

حال النبي ﷺ وأخلاقه وخلاله شاهد قطعي على أنه رسول من عند الله.، وقد أرشد الله إلى هذا في قوله عنه ﷺ: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يونس:١٦] إذن أنتم تعرفون أخلاقه، وتعرفون مدخله وتعرفون مخرجه، وتعرفون سيرته وتاريخه، أبعد هذا يخفى عليكم الفرق بين النبي الصادق والدجال الكاذب؟ ولم يكن يكذب في حديث مع الناس، أفيكذب في خبر رب الناس؟!!.

ومن نظر في سيرته ﷺ من حين ولد إلى أن بعث، وحين بعث إلى أن مات: أدرك أن هذه الأحوال لا تكون إلا لنبي.

فقد جعله الله من خير البيوت نسبا، بيت إبراهيم عليه السلام، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فلم يأت نبي بعد إبراهيم إلا كان من ذريته، وكان محمد ﷺ من قريش، وهم صفوة بني إبراهيم، ثم من بني هاشم صفوة قريش.

وولد ﷺ في أحب البقاع إلى الله مكة أم القرى، البلد الذي توجد فيه كعبة الله،

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ١١٠٠-١١٠١).

الذي لم يزل يقصده الناس بالحج من كل مكان من عهد إبراهيم عليه السلام.

وكان ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة، لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق، وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، وممن آمن به وممن كفر بعد النبوة، لا يُعرف له شيء يعاب به، لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه، ولا جُرّب عليه كذبة قط ولا ظلم ولا فاحشة

وبقي ﷺ على هذه الأخلاق الحسنة والمكارم الحميدة طول بقائه في الحياة الدنيا، مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسلم، وأمن وخوف، وغنى وفقر، وقلة وكثرة.

وهذه الأخلاق هي التي دلت خديجة رضي الله عنها على صدق نبوته وأنه لا يتنزل عليه إلا ملائكة، فقالت لما ذكر لها تنزّل الوحي عليه أول مرة: (كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر).

ومكارم أخلاقه ﷺ هي التي استدل بها هرقل ملك الروم على صدق رسالة النبي ﷺ في محاورته مع أبي سفيان.

وقد جمع الله لنبيه ﷺ بين حسن الأخلاق وحسن الخِلقة والصورة الظاهرة، ففي الصحيحين من حديث البراء رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلْقا، ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير)، (وسئل رضي الله عنه: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر).

وكان أجود الناس وأشجعهم، قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما: (كان أجود الناس بالخير، وأجود بالخير من الريح المرسلة) وقال جابر رضي الله عنه: (ما سُئل رسول الله ﷺ شيئا فقال: لا) متفق عليه

ولم يكن ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وكان أشد الناس حياء وأرحم الناس بالناس، فلم يضرب أحدا بيده لا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وكان خُلُقه القرآن، وكان أشدّ الناس عبادة، يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه

رابعا: دليل مضمون الرسالة:

الرسالة نفسها شاهد على أنها من عند الله وعلى أن الذي جاء بها هو نبي مرسل من عند الله؛ فهذا الدين العظيم دين الإسلام دين عام شامل وافٍ كافٍ يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره، فهو دين جامع للمصالح، دافع للمفاسد، كل صغير أو كبير فيه شاهد بأنه دين رب العالمين، دينٌ ما ترك

خيرا إلا دل عليه ولا شرا إلا حذر منه، دينٌ بلغ القمة في الدقة، كل شيء من أمور الدين والدنيا فإنه بيّنه وجلّاه، وأرشد فيه إلى ما فيه سعادة المجتمعات وسعادة الأفراد، لا يمكن أن يكون هذا إلا من عند رب العالمين.

نظم الدين كل شيء بدقة وأخبر عن حكم كل شيء بتفصيل بالغ، من سياسات الدول إلى آداب الخلاء والانتعال، مرورا بأحكام التجارة والزراعة والنكاح والطلاق، وأحكام تربية الأولاد ومعاملة الجيران، يستحيل أن يكون هذا مخترعا من هذا النبي وحاشاه.

خامسا: دليل الإخبار بالمغيبات:

الكتاب والسنة قد أخبرا بأشياء كثيرة أنها ستقع مستقبلا ووقعت كما أخبر النبي ﷺ.

فقد أخبر ﷺ عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، ففي صحيح مسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب ﷺ قال صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، ثم صعد على المنبر فخطبنا حتى حضر الظهر، ثم نزل فصلى بنا، ثم صعد على المنبر فخطبنا حتى حضر العصر، ثم نزل فصلى بنا حتى غربت الشمس، قال: وأخبرنا بما كان وما هو كائن).

وفي صحيح البخاري: شكى إليه رجل الفقر، وشكى إليه آخر قطع الطريق، فقال ﷺ (والله ليأتي زمان ترتحل الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، ولتُفْتَحنَّ كنوز كسرى ويخرج الرجل ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله عنه فلا يجد أحدا يقبله منه)

قال الراوي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى.

قال شيخ الإسلام: وما أخبر به من خروج الرجل بملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله ظهر كما أخبر في زمن عمر بن عبد العزيز

وأخبر ﷺ بمصارع المشركين في بدر وقال: هنا يصرع فلان وهنا يصرع فلان، فما ماط أحد عن الموضع الذي ذكره النبي ﷺ.

ولما صعد أُحُدًا وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان اهتز الجبل فقال ﷺ "اثبت فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان" فكان كما قال؛ فمات الصديق أبو بكر ﷺ على فراشه، ومات عمر وعثمان ﷺ شهيدين.

وبشر عثمان بالجنة على بلوى تصيبه، فكان كما قال، فقتل عثمان ﷺ مظلوما في داره.

وأخبر فاطمة -رضي الله عنها- أنها أول أهله لحوقاً به، فكان كما قال.

وأخبر عن مقتل قُوّاده الثلاثة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة في معركة مؤتة قبل أن يصل الخبر إلى المدينة.

وأخبر عن موت النجاشي في الحبشة في اليوم الذي مات فيه.

والأخبار في ذلك كثيرة جداً.

والدلالة هنا من وجهين:

أولا: أن مجرد إخبار النبي ﷺ بأن شيئا سيكون – هذا دليل على أنه لا يتكلم من عنده، بل عن وحي من الله العليم القدير الملك؛ فإن أي عاقل عنده ذكاء، وكان مفتريا على الله في هذه الرسالة يستحيل أن يجازف هذه المجازفة.

ثانيا: وقوع ما يخبر به ﷺ كما أخبر.

ختم النبوة:

مادة: **ختم**، تأتي في اللغة لثلاثة معان:

الأول: الطبع: يقال ختمه، يختم ختما وختاما، أي طبعه، والطبع هو التأثير في الطين ونحوه.

الثاني: تغطية الشيء والاستيثاق منه: بحيث لا يدخله شيء، ولا يخرج منه شيء، قال ابن سيده: والختم على القلب ألا يفهم شيئا، ولا يخرج منه شيء.

ومنه قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة البقرة:٧]،

وقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية:٢٣].

الثالث: آخر الشيء ونهايته: ختم الشيء يختمه ختما بلغ آخره، وخاتم كل شيء وخاتمته، عاقبته وآخره، ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [سورة المطففين:٢٦]، أي: آخره، وختمت القرآن، أي: انتهيت إلى آخره.

وهذه المعاني كلها تتفق مع دلالة قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٤٠] فهي تدل على أن النبوة قد

ختمت، وطبع عليها فلا يفتح، وأنها قد انتهت وسدت بمحمد ﷺ، وأنه آخر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

الأدلة على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ:

١ – من القرآن الكريم

أ- آية الختم، وهي قوله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٤٠].

وهي نص صريح، وواضح في ختم النبوة بمحمد ﷺ، وكونه خاتم الأنبياء، وآخرهم مبعثا فلا نبي بعده ولا رسول.

ب– الآيات الدالة ضمنا على ختم النبوة:

ومنها الآيات الدالة على كمال الدين كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣].

فإذا أكمل ﷺ الدين فلا يحتاج إلى رسول آخر يستدرك شيئا أو يزيد عليه شيئا.

قال الإمام ابن كثير: (هذه أكبر نعم الله على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم النبيين، وبعثه إلى الإنس والجن)[(١)].

ومنها **الآيات المخبرة بعموم رسالته** ﷺ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ:٢٨].

فعموم الرسالة زمنيا ومكانيا يدل على كونها خاتمة الرسالات، لأن البشرية على هذا الحال لا تحتاج إلى دين جديد ما دام أن هذا الدين قد خاطبهم جميعا على اختلاف أجناسهم وأماكنهم وأزمانهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٣/٢.

٢- الأدلة من السنة على ذلك:

أ) تصريحه ﷺ بأنه خاتم النبيين؛ ومن ذلك:

١- حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي"**(١).

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه في ذكر استشفاع الناس يوم القيامة للحساب بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، واعتذر الأنبياء عن ذلك حتى ينتهي الناس إلى محمد ﷺ فيقولون له: **(أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك...)** (٢).

ب) تصريحه ﷺ بأنه لا نبي بعده، ومن ذلك:

١ - حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **"إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي"**(٣).

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **"كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون"** (٤).

٣- حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا فقال علي: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ فقال ﷺ: **"ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي"** (٥).

ج) ضربه الأمثال لختم النبوة: ومن ذلك: حديث جابر رضي الله عنه، قال النبي ﷺ **"مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون: لولا موضع لبنة، فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء"**(٦).

---

(١) سنن أبي داود، ومسند أحمد.

(٢) صحيح مسلم.

(٣) مسند أحمد (٢١/ ٣٢٦) برقم١٣٨٢٤.

(٤) صحيح البخاري (٤/ ١٦٩)٣٤٥٥برقم صحيح مسلم (٣/ ١٤٧١) برقم ١٨٤٢.

(٥) صحيح البخاري (٥/ ١٩) برقم٣٧٠٦، صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٠) برقم ٢٤٠٤.

(٦) صحيح البخاري (٤/ ١٨٦) رقم ٣٥٣٤، وصحيح مسلم (٤/ ١٧٩١) برقم ٢٢٨٧. ومن حديث أبي هريرة بمعناه: صحيح البخاري (٤/ ١٨٦) برقم ٣٥٣٥، وصحيح مسلم (٤/ ١٧٩١) برقم ٢٢٨٦.

د) تحذيره ﷺ من المتنبئين بعده، من ذلك:

١- حديث أبي هريرة ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله"(١).

٢- حديث ثوبان ﷺ: "إنه يكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي"(٢).

هـ) إخباره ﷺ بعدم وجود فاصل بينه وبين الساعة، من ذلك:

قوله ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهاتين، وقرن بين إصبعيه المسبحة والوسطى"(٣).

و) تبشيره ﷺ ببقاء طائفة من هذه الأمة إلى قيام الساعة، من ذلك:

١- حديث المغيرة بن شعبة ﷺ: "لا يزال أناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون"(٤).

٢- حديث معاوية ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله"(٥).

فدل ذلك على بقاء هذا الدين إلى قيام الساعة، وأنه لا يزال طائفة من أمته ﷺ متمسكين به يدافعون عنه إلى أن تقوم الساعة.

ز) ذكره ﷺ لعموم رسالته، كما سبق، ومنه:

قوله ﷺ: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة".

فدل ذلك على عموم رسالته ﷺ للناس كلهم، عموم مكاني وعموم زماني، بحيث لا يخرج عنه مكان ولا زمان إلا كان ﷺ مبعوثا إلى أهله إلى قيام الساعة.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٣٦٠٩، صحيح مسلم رقم ٢٢٩٢٣(١٥٧).

(٢) جامع الترمذي رقم ٢٢١٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري رقم ٦٥٠٣٤٧، صحيح مسلم رقم٢٩٥٠-٢٩٥١.

(٤) صحيح البخاري رقم٣٦٤٠، صحيح مسلم رقم ١٩٢١.

(٥) صحيح البخاري: رقم ٧٣١٢، صحيح مسلم: ٣/١٥٢٣.

ح) دلالة أسمائه ﷺ على أنه خاتم الرسل، من ذلك:

١- حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ﷺ: أنه ﷺ قال: "أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي"(١).

فقوله: (وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي) أي أنه ﷺ لم يعد بينه وبين الحشر الذي هو قيام الساعة نبي، وإلا لما كان الناس يحشرون على عقبه، وإنما يحشرون على عقب النبي الذي يجيء بعده لو كان.

وقوله: (وأنا العاقب) يدل على تأخير الشيء وإتيانه بعد غيره، قال ابن فارس: وسمي رسول الله ﷺ العاقب لأنه عقب من كان قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فهو ﷺ العاقب بمعنى أنه آخر الأنبياء لا يعقبه نبي.

٢- حديث أبي موسى ﷺ: قال ﷺ: "أنا محمد وأحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة"(٢).

والمقفي: الذي جاء بعدهم وفي قفاهم. بمعنى العاقب، أي آخر الأنبياء(٣).

٣- الإجماع على ختم النبوة به ﷺ:

قال القاضي عياض: (أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبر عنه الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل إلى الناس كافة، وأجمعت الأمة على أن هذا الكلام على ظاهره..) (٤).

ونقل القرطبي عن ابن عطية عند تفسير آية الختم قوله: (هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاة بالقبول على العموم مقتضية نصا أنه لا نبي بعده ﷺ) (٥).

وكان الإمامان أبو حنيفة وأبو يوسف ﷺ يريان أنه إذا ادعى النبوة أحد فإن من طلب منه علامة على ذلك كفر. قال أبو يوسف: (إذا خرج متنبيء وادعى النبوة فمن طلب منه الحجة يكفر؛ لأنه أنكر النص، وكذلك لو شك فيه) (٦).

---

(١) صحيح البخاري: رقم ٣٥٣٢، صحيح مسلم: رقم٢٣٥٤.

(٢) صحيح مسلم: رقم ٢٣٥٥.

(٣) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١/ ٤٢٣).

(٤) الشفاء للقاضي عياض: ٢/٢٧١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٤/١٢٧.

(٦) بحر الكلام للنسفي بواسطة عقيدة ختم النبوة لأحمد سعد حمدان ص٥٩.

ثمرات عقيدة ختم النبوة

تقدم الحديث عن ختم النبوة مع ذكر الأدلة عليها، والحديث هنا هو من جانب آخر وهو أثر هذه العقيدة على دين المسلمين وثمرة تقريرها عليهم.

فمن ثمار عقيدة ختم النبوة:

١- استقرار التشريع وكمال الدين لدى الأمة وأثر ذلك الكبير في حياة الأمة ولذا امتن الله على هذه الأمة بذلك في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣].

وقد كان نزول هذه الآية على النبي ﷺ في حجه الوداع قبل وفاته بأشهر بعد أن أكمل الله له التشريع. ولذا كان اليهود يغبطون المسلمين على هذه الآية على ما أخرج الشيخان أن رجلا من اليهود جاء إلى عمر ﷺ فقال: (آية في كتابكم تقرؤونها لو نزلت علينا معشر يهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا). قال وأي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾

وقد أبرز النبي ﷺ هذه الحقيقة في صورة محسوسة وذلك بتشبيهه الرسالات قبله بقصر أكمل وأحسن بناؤه إلا موضع لبنة، فكانت بعثته موضع تلك اللبنة ختم بها البناء، وفي هذا تقرير ظاهر إلى أنه لم يبق مجال للزيادة في هذا الدين خاصة ولا الرسالات عامة كما أنه لا يمكن الزيادة في ذلك القصر بعد أن اكتمل بناؤه. وقد تقدم الحديث بنصه في المبحث السابق ضمن الحديث عن خصائص النبي ﷺ فليراجع في موضعه.

٢- ثقة الأمة بعدم نسخ هذا الدين وشريعة محمد ﷺ ببعثه نبيا آخر (ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته، وأما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك، على أن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يتعبد بشريعة نبينا ﷺ دون شريعته المتقدمة لأنها منسوخة فلا يتعبد إلا بهذه الشريعة أصولا وفروعا).

٣- القطع بتكذيب كل مدع للنبوة بعده عليه الصلاة والسلام دون نظر أو تأمل، وهذا من أبرز ثمرات الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي تحصل بها العصمة للأمة من اتباع من ادعى النبوة من الدجالين الكاذبين، ولهذا كان التنبيه على هذا الأمر العظيم هو من أعظم مقاصد النبي ﷺ في تقريره اعتقاد ختم النبوة به وذلك بإخباره عن خروج كذابين ثلاثين في هذه الأمة كلهم يدعي النبوة ثم تقريره أنه لا نبي بعده تحذيرا للأمة من تصديقهم واتباعهم.

كما جاء هذا في حديث ثوبان ﷺ في الفتن مرفوعا للنبي ﷺ وفيه: "... وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي".

٤- ظهور فضل الأمراء والعلماء من هذه الأمة حيث جعل سياسة الأمة في الدين والدنيا لهم بخلاف بني إسرائيل فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء. فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء تكثر" قالوا: فما تأمرنا؟ قال: "أوفوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم".

فكان مقام الخلفاء في الأمة مقام الأنبياء في بني إسرائيل في سياسة الناس وقيادتهم. وفي حديث آخر عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها".

وواقع الأمة يشهد بهذا فلا يزال أمر الدين والدنيا محفوظا بالخلفاء والأمراء والعلماء الذين يسوسون الناس بالشرع، ولا يزال الله تعالى يجدد لهذه الأمة ما اندرس من معالم دينها على مر العصور والدهور بالأئمة المجددين الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فدين الله بهم قائم غضا طريا على بعد الزمن عن عهد البعثة وتقادم زمن الرسالة. وذلك فضل الله على هذه الأمة عامة ومن شرفه بهذا المقام خاصة.

وعلى كل حال فعقيدة ختم النبوة وآثارها في الدين من أبرز خصائص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القدم في الثبات عليه، إلى أن يأتي أمر الله.

مذاهب المخالفين في ختم النبوة والرد عليهم:

ادعى النبوة من زعماء الفرق الحديثة الباطنية كل من: الباب (اسمه: السيد علي محمد) زعيم البابية، وبهاء الله (واسمه: ميرزا حسين علي) زعيم البهائية، و(غلام أحمد بن غلام مرتضي القادياني) زعيم القاديانية (الأحمدية)!

وزعم الغربية – من غلاة الشيعة – أن القرآن والوحي حق لعلي، وأخطأ جبريل عليه السلام وأعطاه لمحمد ﷺ؛ لشدة شبه علي به كما يشبه الغراب الغراب! ومثلهم الباطنية؛ الذين يزعمون أن النبي ﷺ أخذ القرآن عن سلمان الفارسي!

وادعى الشيعة الإمامية الاثنا عشرية نزول الوحي بعد وفاة رسول الله ﷺ على فاطمة وأئمتهم، وكلام الملائكة لهم بهذا الوحي، وقيام الأئمة مقام النبي ﷺ في النبوة والحجة، بل تجرأ غلاتهم على ما هو أعظم من هذا:

فنص بعض علمائهم على أن أئمتهم أفضل وأعلم من جميع الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم من الرسل! وهذا في حقيقته قدح وخدش في عقيدة ختم النبوة واختصاص نبينا ﷺ بها، فضلاً عن كونه كفراً بالإجماع لا يمتري فيه أحد.

وجوز الفلاسفة وغلاة الصوفية إمكان تحقق النبوة لأنفسهم، واكتسابهم لها بصفاء القلب ونقاء السريرة؛ فادعى ابن عربي – بعد ادعائه إثبات النبوة العامة– نزول الوحي عليه خاصة، وأنه خاتم الأولياء، وأن الرسل لا يقتبسون علمهم إلا من مشكاته!

وقد تجرأ الزنادقة والملاحدة من جهلة المتفلسفة والمتصوفة والباطنية على ما هو أعظم من هذا؛ فذهبوا إلى أن الولي قد يكون أفضل وأعلم من النبي، أنه يسعه الخروج عن شريعة نبي زمانه، وأنه يعلم الغيب، وأن أتباعه وأشياخهم لهم طرق باطنة توافق الحق ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع؛ كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى!

وهذا القول ذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام؛ بل هو زندقة وكفر؛ لأنه إنكار لما علم من الشرائع؛ فأحكام الله تعالى لا تعلم إلا بوساطة الرسل، فمن قال هذا القول فقد أثبت لنفسه خاصية النبوة؛ فهو في حقيقته قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ الذي جعله الله خاتم أنبيائه ورسله؛ فلا نبي بعده ولا رسول؛ فهذا القول خروج عن عقيدة ختم النبوة والمعلومة من الدين بالضرورة.

والأولياء عند بعض غلاة الصوفية يتفاضلون؛ فأفضلهم خاتم الأولياء، وهو عندهم أفضل من خاتم الأنبياء! وقدم هؤلاء بعض أوليائهم في المنزلة على منزلة الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم منهم! فذهبوا إلى تقسيم مقامات الأولياء إلى أربع مقامات: فمنهم من يقوم مقام خلافة النبوة (وهم العلماء)، ومنهم من يقوم مقام خلافة الرسالة (وهم الأبدال)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي العزم (وهم الأوتاد)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي الاصطفاء (وهم الأقطاب)! فمقام بعض الأولياء عند هؤلاء الغلاة يكون فوق مقام أولي العزم من الرسل، فضلا عن مقام النبوة والرسالة! فالله المستعان، وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ومن الحركات المعاصرة المناقضة لعقيدة ختم النبوة: الحركات الداعية إلى وحدة الأديان الثلاثة (الإسلام، واليهودية، والنصرانية)، ووحدة الكتب السماوية، وفكرة طبع (القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل) في غلاف واحد! زيادة على أن هذه الحركات والدعاوى مناقضة لاعتقاد تحريف الكتب السماوية.

وكل ما سبق خروج عن عقيدة ختم النبوة، المتواترة تواترا قطعيا، والمعلومة من دين الإسلام بالضرورة، وفساد هذه الأقوال والمعتقدات، وظهور كفر أصحابها يغني عن تكلف الرد عليها.

خامسا: المسائل العقدية المتعلقة بالولاية وكرامات الأولياء[1]

أولا: المراد بالولاية وشروطها ومراتبها وثمراتها:

تعريف الولي والولاية:

الولاية لغة: ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقَرب. وأصل العداوة: البغض والبعد.

والولاية في الاصطلاح: هي القرب من الله بطاعته.

والولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان: الإيمان والتقوى، قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: ٦٢ – ٦٣]، فكل مؤمن تقي فهو ولي لله تعالى، وكل مؤمن له من الولاية بحسب ما معه من الإيمان والتقوى، وهذا أمر واضح.

وعلامة صحة هذه المحبة وصدق دعوى القرب من الله تعالى مع الإيمان والتقوى: الاتباع، وقد جعل الله تعالى علامة وميزانا وضابطا يعلم به صدق دعوى القرب من الله وصحة دعوى محبة الله، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:٣١]. فمن اتبع الرسول في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فذلك دليل على صدق دعواه محبة الله تعالى، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى،وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فبحسب حظهم من اتباع الرسول ﷺ يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص بحسبه.

ثبوت ولاية الله للمؤمنين وولاية المؤمنين لله تعالى: هذه المحبة والقرب تكون من الجهتين: من جهة العبد ومن جهة الرب، فهم يحبون الله ﷻ، والله ﷻ أيضا يحبهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [سورة المائدة:٥٤]، وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها... الحديث[2]. فدلت النصوص السابقة وما في معناها على ما سبق تقريره من أن الموالاة والمحبة والقرب تكون من الجهتين: من جهة الرب ومن جهة العبد، فالله ﷻ يحب الأولياء ويتولاهم، والأولياء يحبون الله ﷻ ويتولونه.

---

(١) من مبحث للأستاذ الدكتور ألطاف الرحمن وفقه الله– باختصار وتصرف–.

(٢) أخرجه البخاري (ك: الجهاد والسير، ح: ٢٩٤٢) ومسلم (ك: فضائل الصحابة، ح: ٢٤٠٦).

تفاضل الأولياء: وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولاية لله. فالناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم منهم وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وأفضل أولي العزم محمد ﷺ ثم إبراهيم عليه السلام.

أقسام أولياء الله: وأولياء الله على قسمين:

القسم الأول: سابقون مقربون.

القسم الثاني: أصحاب يمين مقتصدون.

وقد ذكرهم الله تعالى في عدة مواضع من كتابه. قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجّا (٤) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّا (٥) فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَٰجا ثَلَٰثَة (٧) فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٩) وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [سورة الواقعة: ١ – ١٢]. فذكر ثلاثة أصناف: صنفا في النار، وهم أصحاب الشمال، وصنفين في الجنة، وهما: أصحاب يمين وسابقون مقربون.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ*فَرَوْح وَرَيْحَان وَجَنَّتُ نَعِيم*وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ*فَسَلَٰم لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ*وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ*فَنُزُل مِّنْ حَمِيمٍ*وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [سورة الواقعة: ٨٨ – ٩٤]، وهنا أيضا ذكر ثلاثة أصناف: اثنان منهم في الجنة، وواحد منهم في النار.

وذكر الله ﷻ في سورة الرحمن قسمين وجعل لكل قسمٍ جنتين [ينظر الآيات في الرحمن: ٤٦ – ٧٨] فقد ذكر فيها القسمين: القسم الأول وهم الذين جاء ذكرهم في قوله تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ) وما بعده من الآيات، والقسم الثاني جاء ذكرهم في قوله تعالى: (وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ) وما بعده من الآيات.

وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء المشهور، وهو حديث قدسي يرويه النبي ﷺ عن ربه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل

حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه.... " الحديث[1].

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه تعالى بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات.

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه تعالى بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إلى الله بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما وعصمهم من الذنوب واستجاب دعاءهم كما قال تعالى: "ولا يزال عبديَ يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..." إلى آخر ما ذكر في الحديث[2].

لا يختص أولياء الله بلباس ولا هيئة: وأولياء الله لا يتميزون عن غيرهم من الناس في الظاهر بلباس ولا بهيئة على ما هو مقرر عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان مباحا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره إذا كان مباحا، كما قيل: كم من صِدِّيق في قَبَاء، وكم من زِنْديق في عَبَاء، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، يوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع والزراع)[3]. فأولياء الله ﷻ لا يتميزون عن غيرهم بمظهر، بل هم كغيرهم من أهل الإسلام لا يتميزون عنهم بلباس ولا بهيئة، لكنهم يتميزون عن غيرهم بالإيمان والتقوى وحسن العقيدة والعمل.

بطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو: وأولياء الله ليسوا معصومين، ولا يعلمون الغيب، وليس لهم قدرة على التصرف في الخلق والرزق، ولا يدعون الناس إلى تعظيمهم أو صرف شيء من الأموال والعطايا لهم، ولا تسقط عنهم التكاليف الشرعية من الصلاة والصيام وغيره، ولا تجوز لهم المحرمات من الخمر والزنا وغيره، ومن فعل ذلك فليس بولي لله؛ بل كذاب أفاك ولي للشيطان.

---

(١) أخرجه البخاري (ح: ٦٥٠٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٥٠٨-٥٠٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/١٩٤).

من ثمرات الولاية:

١- **إن الله يخرجهم من الظلمات إلى النور**، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة البقرة:٢٥٧]

٢- **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولهم البشرى في الدنيا والآخرة**، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ*ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ*لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة يونس: ٦٢ – ٦٤]

٣- **محبة الله لهم، ودفاعه عنهم، وتسديده وتوفيقه لهم**، وإجابة ندائهم وقبول دعواتهم، كما في حديث الولي المتقدم.

ثانيا: كرامات الأولياء: معناها وضوابطها وأحكامها والأدلة على إثباتها:

تعريف الكرامة:

أ- تعريف الكرامة لغة: الكرامة: من الكرم، وهو الشرف، وهو ضد اللؤم، وجمعه كرامات، وهي محض تفضلٍ ونعمة خاصة من الله ﷻ.

ب- تعريف الكرامة اصطلاحا: هي ما يمتن الله به على أحد أوليائه من إكرام معنوي أو خرق حسي للعادة؛ لوجود سبب يقتضي حصوله.

ج- أنواع الكرامة نوعان:

١- كرامة معنوية، مثل: نزول القرآن في موافقة عمر ﷺ، ونزول القرآن ببراءة أم المؤمنين عائشة ﷺ.

٢- كرامة حسية، مثل: إعطاء الله مريم عليها السلام رزقها في المحراب، وقصة أصحاب الغار الذين أووا إلى غار من أجل المطر وانحطت صخرة على فم الغار فانطبقت عليهم، وتغشي النعاس الصحابة أثناء القتال، وتكثير الطعام لأبي بكر الصديق ﷺ، وإضاءة طرف العصا لأسيد بن حضير وعباد بن بشر ﷺ، وأكل خبيب بن عدي ﷺ من قطف العنب وما بمكة ثمرة يومئذ وهو مسجون وموثق في الحديد.

وأفضل نوعي الكرامة: الكرامة المعنوية فهي أعلى من الكرامة الحسية، وأفضل الكرامة الاستقامة على شرع الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة؛ فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه، ويرفع به درجته)[1]. وقال أيضا: (وأن الكرامة لزوم الاستقامة، وأن الله لم يكرم عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس:٦٢])[2].

د–الفرق بين كرامة الولي وآية النبي:

هناك من يرى أنه لا فرق بين كرامة الولي وآية النبي، ويزعم أن كل ما حصل للأنبياء يمكن حصوله للأولياء، وهذا غير صحيح البتة، ولذلك أكثر أهل العلم يفرقون بينهما.

فيما يلي بعض الفروق المهمة بين كرامة الولي وآية النبي:

١–إن آيات الأنبياء المرتبطة بنبوتهم لا يمكن أن تقع لولي على سبيل الكرامة، مثل القرآن الكريم، وعروج النبي إلى ربه... لأنه لا علاقة للأولياء بالتشريع.

فما هو مترتب بالنبوة والتشريع لا يقع لولي على سبيل الكرامة.

٢– إن كرامة الولي تابعة، وآية النبي متبوعة، بمعنى أن آية النبي دليل مستقل على نبوته، وكرامة الولي تابعة للنبي ودالة على صدق ذلك النبي، لأن الولي لم تحصل له تلك الكرامة إلا باتباع ذلك النبي، ولو لم يتبعه لما وقعت له الكرامة.

٣– كرامات الصالحين ليست خارقة للعادة، بل هي معتادة في الصالحين من أهل الملل في أهل الكتاب، والمسلمين. وأما آيات الأنبياء التي يختصون بها فهي خارقة للعادة.

٤– إن ما تخبر به الرسل من أمور الغيب الكبيرة مفصلة خاصة بهم، مثل إخبار النبي ﷺ بخروج النار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى، ولا يقدر عليه أحد من البشر بكرامة ولا بسحر ولا بغيره.

٥– الآثار المترتبة على آيات الأنبياء كبيرة جدا، ومن أهمها إقامة الحجة على نبوة من أيده الله بها، فيجب تصديق ذلك النبي فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، ولا يعبد الله

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٩٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٩-٣٠)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (٧٤٨/٢).

إلا بما شرع، ومن كذّب بعد الآية فله العذاب والهلاك، وأما الآثار المترتبة على الكرامة فلا تصل إلى شيء من ذلك.

٦- الكرامات ينالها الولي بسبب أفعاله كعبادته ودعائه، وأما آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك، بل الله يفعلها آية وعلامة لهم.

٧- أن الآية النبوية تكون أشهر وأظهر في الناس من كرامة الولي، وذلك لتوفر الهمم وتوافر الدواعي على نقل الآية النبوية أكثر من توفرها على نقل كرامة الولي، الذي قد يجهله ويجهل كرامته أكثر الناس.

هـ – الفرق بين كرامات الأولياء، وخوارق السحرة والمشعوذين والدجالين:

هناك فروق بين كرامات الأولياء، وخوارق السحرة والمشعوذين والدجالين، منها:

١- أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى والعمل الصالح، وأعمال المشعوذين سببها الكفر والفسوق والفجور.

٢- أن كرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى، أو على أمور مباحة، وأعمال المشعوذين والدجالين يستعان بها على أمور محرمة من الشرك والكفر وقتل النفوس.

٣- أن كرامات الأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده، وخوارق السحرة والمشعوذين تبطل أو تضعف عند ذكر الله وقراءة القرآن والتوحيد.

فتبين بهذا أن بين كرامات الأولياء وتهريجات المشعوذين والدجالين فروقا تميز الحق من الباطل.

و– ضوابط قبول الكرامة:

١– الاستقامة على شرع الله: هذا الضابط مهم جدا، بل هو أهم الضوابط كلها؛ فإنه به يعرف الأولياء الصادقون من غيرهم، وتعرف الكرامات الحقيقية وتميز عن غيرها، ولا يستطيع المنحرفون عن دين الله استغلال الناس باسم الكرامة، ولا تثبت لأحد الولاية ولا الإسلام حتى ينظر وقوفه عند الأوامر والنواهي التي بعث الله بها رسوله ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر: (يختبر حال من وقع له ذلك، فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته، ومن لا فلا، وبالله التوفيق)[1].

(١) فتح الباري (٧/ ٣٨٣).

٢- خرق العادة ليس دليلا مستقلا على الكرامة: فلا ينبغي الاغترار بمجرد خرق العادة، لأنه قد يقع خرق العادة للكافر والمنافق، والكرامة لا تكون إلا للمؤمن وحده، وقد يتوصل به الكافر والمنافق إلى ما لا يحبه الله من الكفر والفسوق، فكيف يكون في هذه الحالة كرامة؟ فلا يجوز التسرع في الحكم على خرق عادة بأنه كرامة حتى تعلم استقامة صاحبه وعدم توصله به إلى أمر محرم.

قال الحافظ ابن حجر: (الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى، وهو غلط ممن يقوله، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق)[١]. وكذلك لا بد من تحقق الإكرام في الكرامة، فالأمور المعتادة والخوارق التي لا يظهر فيها الإكرام لا تعد من الكرامة مثل عدم الأكل والشرب أياما، أو الأكل الكثير والشرب الكثير ونحو ذلك.

٣- عدم معارضة قصة الكرامة للشرع: الكرامة من عند الله، والشرع من عند الله، فلا يمكن وقوع الإكرام من الله بما يخالف شرعه، فكل قصة تذكر على أنها من الكرامة وهي مشتملة على مخالفات شرعية يجب اطراحها ونبذها.

قال ابن الجوزي: (والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان)[٢].

٤- ثبوت سند رواية الكرامة: الإسناد مهم في هذا الباب، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، والذين أغفلوا هذا الجانب أدخلوا فيه من الأساطير والخرافات ما الله به عليم. ولذلك قال الطحاوي: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم)[٣].

٥- نقل الجم الغفير لها إذا كانت الحادثة عظيمة: إذا حدث ما يخالف سنة الله التي يجري على وفقها، فإن خبره ينتشر انتشارا عظيما، ولا يمكن أن ينفرد به فرد أو اثنان، فإن الهمم تتوفر على نقله والحديث عنه، فإذا انفرد بذكره ونقله أفراد قليلون دون سائر الناس يكون مشكوكا فيه، ويقال: أين كان الناس حين حدث هذا الأمر العظيم الذي علمتم به دونهم؟

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣٨٣).

(٢) تلبيس إبليس (ص: ٣٧٦).

(٣) العقيدة الطحاوية (٣١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن دعوى الرافضة رد الشمس لعلي بن أبي طالب: (فمثل هذه القضية من الأمور العظام الخارجة عن العادة التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها فإذا لم ينقلها إلا الواحد والاثنان علم بيان كذبهم في ذلك)[١].

وقال الحافظ ابن كثير: (هذا الحديث ضعيف ومنكر من جميع طرقه، فلا تخلو واحدة منها عن شيعي ومجهول الحال وشيعي ومتروك، ومثل هذا الحديث لا يقبل فيه خبر واحد إذا اتصل سنده، لأنه من باب ما تتوفر الدواعي على نقله، فلا بد من نقله بالتواتر والاستفاضة لا أقل من ذلك، ونحن لا ننكر هذا في قدرة الله تعالى وبالنسبة إلى جناب رسول الله ﷺ، فقد ثبت في الصحيح أنها **ردت!** ليوشع بن نون، وذلك يوم حاصر بيت المقدس، واتفق ذلك في آخر يوم الجمعة وكانوا لا يقاتلون يوم السبت فنظر إلى الشمس، وقد تنصفت للغروب فقال: إنك مأمورة، وأنا مأمور، اللهم **احبسها** علي، **فحبسها** الله عليه حتى فتحوها. ورسول الله ﷺ أعظم جاها وأجل منصبا وأعلى قدرا من يوشع بن نون، بل من سائر الانبياء على الاطلاق ولكن لا نقول إلا ما صح عندنا عنه، ولا نسند إليه ما ليس بصحيح، ولو صح لكنا من أول القائلين به، والمعتقدين له وبالله المستعان)[٢].

٦- عرض قصص الكرامات على سير الأنبياء عليهم السلام: لا شك أن الأنبياء أفضل من الأولياء، وهذا أمر متفق عليه عند أهل السنة والجماعة.

قال الطحاوي: (ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء)[٣].

وإذا كان الأنبياء أفضل من الأولياء فما لم يتيسر لنبي من الأنبياء لا ينبغي اعتقاد وقوعه كرامة لولي من الأولياء، ولا سيما عند تشابه الظروف والأحوال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وليس علي أفضل من النبي ﷺ، والنبي ﷺ فاتته العصر يوم الخندق حتى غربت الشمس ثم صلاها ولم ترد عليه الشمس، وكذلك لم ترد لسليمان لما توارت بالحجاب، وقد نام النبي ﷺ ومعه علي وسائر الصحابة عن الفجر حتى طلعت الشمس، ولم ترجع لهم إلى الشرق)[٤].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٨/١٧١).

(٢) البداية والنهاية (٨/٥٦٩-٥٧٠).

(٣) العقيدة الطحاوية (٣١).

(٤) منهاج السنة النبوية (٨/١٧٥-١٧٦).

وقال الحافظ ابن كثير: (فما كان الله ﷻ ليعطي عليا وأصحابه شيئا من الفضائل لم يعطها رسول الله ﷺ وأصحابه)[1].

وكذلك لا يقع للولي ما يلزم منه المساواة أو المشاركة في شيء من خصائص النبوة فضلا عن خصائص الربوبية، كدعوى استشارة بعضهم جبرئل عليه السلام فيما يعرض عليه من المسائل أو النظر في اللوح المحفوظ، ومعرفة الغيوب وغيرها.

ز- أسباب وقوع الكرامة:

١-الحاجة: قد يقع ولي الله في كرب عظيم، فيشاء الله رفع كربه بكرامة حسية يحتاجها، فقد يحتاج الولي إلى التبرئة من تهمة وهو برئ منها، كما برأ الله مريم من تهمة الزنى بإنطاق صبيها في المهد، ومثله تبرئة الله لجريج العابد حين رمته بغي بالزنا فأنطلق الله صبيها في المهد، وقد تكون الحاجة بسبب الوقوع في التهلكة كما في حديث أصحاب الغار الثلاثة، الذين انقطعت به الأسباب ووقع الحجر على فم الغار، وقد تكون الحاجة دون الوقوع في التهلكة مثل كرامة حذيفة أيام غزوة الأحزاب حين أرسله النبي ﷺ ليأتي بخبر الأحزاب، وكان ثمة برد وريح شديدة، ولكن حذيفة لم يشعر بشيء من ذلك البرد والريح الشديدة أثناء تنفيذه لتلك المهمة الاستخبارية، والتي كان يعاني منها الآخرون...والأمثلة على ذلك كثيرة.

ولكن ينبغي أن يعلم أن الكرامة ليست مطردة الوقوع عند الحاجة بحيث يتحتم وقوعها عند وجود الحاجة، بل قد توجد الحاجة ولا تقع الكرامة التي ترفعها؛ ابتلاء واختباراً ولحكمة يعلمها الله.

٢- إظهار الحق: قد يلتبس الحق على بعض الناس، فيظهر الله الحق ويجليه بإظهار الكرامة على يد أحد أوليائه، مثل المؤمن الذي يخرج إلى الدجال فيقتله ثم يحييه، ثم يحاول قتله مرة أخرى فلا يتمكن من ذلك، فيعلم الناس كذب الدجال ويتضح لهم الحق.

٣-الابتلاء والاختبار: قد تأتي الخوارق ابتلاء من الله لبعض عباده، ليظهر ويتميز الشاكر من غير الشاكر، قال الشاطبي: (الكرامة كما أنها خصوصية، كذلك هي فتنة واختبار، لينظر كيف تعملون)[2]، ومن الأمثلة على ذلك قصة الثلاثة من بني إسرائيل: الأعمى والأبرص والأقرع، الذين أرسل الله إليهم ملكا، وأزال ما كان بهم من علة، ورزقهم ما اشتهوا من المال حتى كثرت أموالهم، وشكر الأعمى للنعمة دون الأبرص والأقرع.

---

(١) البداية والنهاية (٨/٥٨٨).

(٢) الموافقات (٢/٤٧٢).

٤- الدعاء: الدعاء سبب من الأسباب، وقبول هذا الدعاء هو الكرامة إن كان الداعي مؤمنا، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإنا لا ننكر حصول خوارق العادات بإجابة الدعوات)[١]، ومن الأمثلة على ذلك قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار...، وأزال الله الصخرة عن الغار بدعائهم.

٥- إكرام محض: قد يهب الله أحد الصالحين كرامة لمجرد إكرامه، ولا يكون فيها شيء من الاسباب السابقة، ومن الأمثلة على ذلك: قصة أبي بكر الصديق ﷺ حين كثر الطعام له ولأضيافه، وسلام الملائكة على عمران بن حصين ﷺ.

ح- الأحكام المتعلقة بالكرامة:

١- تمييز الكرامة عن غيرها: هناك من يخلط بهذه الكرامة ما ليس منها في شيء، فقد دأب بعض الناس على خلط الكرامة الحسية بأمور شتى بجامع ما بينها من خرق العادة أو دعواها، مع أن خرق العادة لا يلزم منه الكرامة دائما:

أ- قد يكون من باب الاستدراج والابتلاء والامتحان، فقد جاء في الأحاديث أن المسيح الدجال يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، والخربة بإخراج كنوزها فتخرج، والدجال من أعظم أعداء الله ويكون مكتوبا بين عينيه بأنه كافر، فهذه الخوارق لا تعد من الكرامة بل هي له من الاستدراج ولغيرهم من الابتلاء والامتحان.

ب- وقد تكون من باب الحيلة والتلبيس، كما نقل ذلك عن الحلاج في تلبيسه على الناس في أكثر من قصة[٢].

وكما في قصة البطائحية مع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وما هيأ الله له من كشف باطلهم وتلبيسهم على الناس[٣].

- ومن ذلك نتبين كذب وزيف ما يفعله السحرة والمشعوذون في هذا العصر، من التلبيس والخداع فيظهرون القتل والذبح والإحياء ويكون ذلك مبنيا على المكر والخداع والحيلة وخفة اليد ونحو ذلك.

---

(١) الصفدية (٢٢٢/١).

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٧٠٠/٨-٧٠١، ذكر بعض ما حكي عن الحلاج من الحيل، ترجمة الحسين بن منصور الحلاج برقم: ٤١٨٥)، والبداية والنهاية (٨٢٦/١٤-٨٢٧، ذكر أشياء من حيل الحلاج)، وانظر أيضاً: تلبيس إبليس (ص: ٣٤٠).

(٣) انظر للتفصيل: مجموع الفتاوى (٤٥٨/١١-٤٧٥).

ج- قد يكون ذلك من تلبيس الشياطين، فقد ينادي المكروب بعض من يعتقد فيه الصلاح فيتصور الشيطان بصورة ذلك الصالح ويقضى حاجة ذلك المنادي فيظن أنها كرامة لذلك الصالح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأعرفُ من ذلك وقائع كثيرة في أقوام استغاثوا بي وبغيري في حال غيبتنا عنهم، فرأوني أو ذاك الآخر الذي استغاثوا به قد جئنا في الهواء ورفعنا عنهم، ولما حدثوني بذلك بينتُ لهم أن ذلك إنما هو شيطان تصور بصورتي وصورة غيري من الشيوخ الذين استغاثوا بهم ليظنوا أن ذلك كرامات للشيخ فتقوى عزائمهم في الاستغاثة بالشيوخ الغائبين والميتين)[1]، والأمثلة على كثيرة.

فأهل الأهواء والبدع لهم حيل كثيرة لإغواء الناس وإضلالهم باسم الخوارق والكرامات، والتي تكون مبنية على الحيل والخداع والدجل، وتعاونهم الشياطين على ذلك، فلا بد من تمييز الكرامة الحقيقية من غيرها.

٢- وقوع الكرامة لأحد لا يعني تفضيله على الإطلاق؛ فضلا عن دعوى العصمة المطلقة له: فكم من إنسان لم تخرق له العادة أفضل من آخر خرقت له العادة، ومما يدل على ذلك ويؤكد أن وقوع الكرامات في جيل التابعين كان أكثر من وقوعها في جيل الصحابة، مع أنه من الأمور المقطوع بها أن الصحابة أفضل من التابعين، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى: ما بال الصحابة لم ينقل عنهم من الكرامات ما نقل عمن بعدهم؟ فقال: لقوة إيمانهم[2]، وإذا كان وقوع الكرامة لأحد المسلمين لا يعني تفضيله على غيره من المسلمين بإطلاق فذلك لا يعني العصمة المطلقة له ولا وجوب طاعته واتباعه في كل ما يقوله[3] من باب أولى، ولذلك إذا وقعت الكرامة لأحد فلا يعتقد فيه بأنه معصوم عن الذنوب والمعاصي على الإطلاق فالأولياء ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين.

٣- الكرامة غير محصورة في صنف معين من المؤمنين: ليست الكرامة مقصورة على أحد بسبب نسبه أو علمه أو جاهه، وليست مرتبطة بشعار أو هيئة أو لباس معين؛ وليست محصورة في الرجال دون النساء؛ بل كل مؤمن تقي فهو من أولياء الله، ومن كان وليا لله أمكن أن تقع له

---

(١) مجموع الفتاوى (١/٣٦٠).

(٢) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار لمحمد بن عمر الحضرمي الشافعي ٩٣٠ هـ، (ص: ١٣٨)، انظر: منهاج السنة النبوية (٨/٢٠٤-٢٠٥)، ومجموع الفتاوى (١١/٢٨٣).

(٣) انظر: مختصر الفتاوي المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٦٣).

الكرامة، بقطع النظر عن نسبه أو قبيلته أو جنسيته أو مكانته أو مهنته أو وظيفته أو علمه أو عروبته أو عجمته.

٤- موقف المؤمن حين تقع له الكرامة: وقوع الكرامة من عدمه ليس هو الضابط الذي يعرف به قدر المؤمن عند الله تعالى، وعدم وقوع الخوارق للمسلم لا يضر المسلم في دينه ولا ينقص ذلك في مرتبته عند الله تعالى، بل عدم وقوعها له قد يكون أنفع له، وذلك إذا كان مؤديا إلى العجب والكبر والغرور والتقاعس عن الخير والصلاح، ولذلك المؤمن إذا وقعت له كرامة يزداد شكرا لله تعالى وتقوية لصلته به سبحانه، ولا يتكل عليها ولا يغتر بها، فإن وقع في الافتخار بعمله وتقاعس عن الصالحات اغترارا بما وقع له فيخشى أن يكون ما حدث له استدراجا وإمهالا ومكرا في صورة توهَّمها كرامة، والله المستعان[١].

٥- تصريف الكرامة لله وحده: إن مصرف الكرامة هو الله تعالى وحده، وذلك راجع إلى حكمة الله ومشيئته سبحانه، فقد يكرم الله بعض عباده بكرامة في وقت أو حالٍ، ويبتليه بعظيم البلاء في حالٍ أخرى ووقت آخر، فلا يقال: لو كانت الكرامة حقا وصدقا لما مات الفاروق أو عثمان أو علي أو الحسن أو الحسين وغيرهم من الأكابر والأولياء والصالحين عطشا أو جوعا أو تسمما أو قتلا ونحو ذلك.

ح- موقف الناس من الكرامات:

الناس في باب الكرامات طرفان ووسط:

١- فهناك من ينكر إنكارا صريحا وقوع الكرامة والخوارق للأولياء، وهم المعتزلة ومن نحا نحوهم، وهناك من يقول بالكرامة المعنوية دون الحسية[٢]، هذا في الحقيقة يندرج في قسم الإنكار.

٢- وهناك من يبالغ في إثباتها ويجعل من الكرامة ما ليس بكرامة، بل قد يصدق ويحدث ويأتي فيها بالأباطيل والمناكير والخرافات، وهم المتصوفة.

٣- وهناك من يؤمن بها من غير غلو فيها ولا إجحاف، ومن غير إفراط فيها ولا تفريط، بل يقول ويؤمن بها وفق ما جاء في الكتاب والسنة، وهم أهل السنة والجماعة، وهم الوسط.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٧٥٠-٧٥١).

(٢) انظر: مجلة المنار (١١/٩١٧).

قال النووي رحمه الله معلقا على قصة تكثير الطعام وحصول البركة والزيادة فيه في بيت أبي بكر الصديق مع ضيوفه: (هذا الحديث فيه كرامة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفيه إثبات كرامات الأولياء، وهو مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة وقد دل عليها القرآن في غير موضع والأحاديث الصحيحة والآثار **المتواترة** عن الصحابة والتابعين وغيرهم وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم، لكن كثيرا ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذابا أو ملبوسا عليه)[2].

إنكار المعتزلة للكرامة وشبهاتهم والرد عليها: المعتزلة ينكرون وقوع الكرامات لأولياء الله، ويحصرون الخوارق في الأنبياء، فقط. قال الزمخشري – وهو من المعتزلة ملبساً في إنكار الكرامات- في تفسير قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا*إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [سورة الجن: ٢٦ – ٢٧]: (يعني: أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة، لا كل مرتضى. وفي هذا إبطال للكرامات، لأنّ الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين، فليسوا برسل)[3]، فهم حصروا الخوارق في الرسل وأنكروها لغيرهم.

ويقال في الرد على استدلال الزمخشري بالآية على إنكار الكرامات: لا بد أن يكون الدليل وفق الدعوى، والدعوى هنا أعم من الدليل، فإن المدلول عليه بالآية إبطال اطلاع الولي على الغيب خاصة، والكرامة ليست محصورة في الاطلاع على الغيب، فلا يصح به الاستدلال على إنكار الكرامات على الإطلاق.

شبهة والجواب عنها: قال ابن أبي العز: (وقول المعتزلة في إنكار الكرامة ظاهر البطلان فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات، وقولهم: لو صحت لأشبهت المعجزة فيؤدي إلى التباس النبي ﷺ بالولي وذلك لا يجوز! وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة، وهذا لا يقع ولو ادعى النبوة لم يكن وليا بل كان متنبئا كذابا)[4].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٩)، وانظر: (١٠٨/١٦).

(٢) مختصر الفتاوي المصرية (٢/ ٦٣).

(٣) الكشاف (٢٣٥/٦)، وانظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص: ٥٦٨-٥٧٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٧٥٢/٢-٧٥٣).

شبهة أخرى والجواب عنها: من أسباب إنكار بعضهم للكرامات زعمهم أن الكرامات حديث خرافة وطريق دجل وباب مكر واحتيال، وأنها غير ثابتة الأسانيد، وأنها لم تحصل للصحابة الذين هم أفضل الخلق بعد الأنبياء، فهي لا تقع لغيرهم من الصالحين من باب أولى، وزعم بعضهم أن الكرامات والخوارق المروية غير متواترة، فقال في ذلك: (وليس في هذا القسم متواتر، وإنما هي آحاد، منها ما إسناده صحيح، ومنها الواهي، والمنكر)[1].

والجواب: أن هذه الدعوى مبنية على عدم العلم وعدم المعرفة، بل الكرامات ثابتة بالنصوص الشرعية، وثابتة بالتواتر، وقد حصلت للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ولمن جاء بعدهم من الصالحين، وتواترت بها الأخبار.

فنفي التواتر عنها مجرد زعم من منكرها ودعوى بلا خطام.

نعم قد استغل موضوع الكرامة بعض المحتالين الدجالين، وقاموا بالمكر والاحتيال والإضلال والإفساد باسم الكرامة، فوجود مثل هذا لا يقتضي إنكار الكرامة مطلقاً، بل يثبت ما ثبت منها، وينكر ما ليس منها، فهذا هو مقتضى العدل والإنصاف.

وأما اشتراط من اشترط لثبوتها التواتر – مع أن التواتر فيها موجود بحمد الله- فهذا في الأصل مبني على التفريق بين المتواتر وأخبار الأحاد في الاستدلال، ومبني على القول بعدم الاستدلال بأخبار الآحاد في أبواب الاعتقاد.

وهذا القول باطل بلا شك، وما بني على باطل فهو باطل ولا يكون حقاً، وهل يستقيم الظل والعود أعوج؟

وأهل السنة والجماعة مجمعون على الاستدلال بالأحاديث النبوية الثابتة في مسائل الاعتقاد من غير تفريق بين المتواتر والآحاد منها، وذلك لدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح على ذلك.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مجلة المنار العدد: ٤٢، (ص: ٦٥٨).